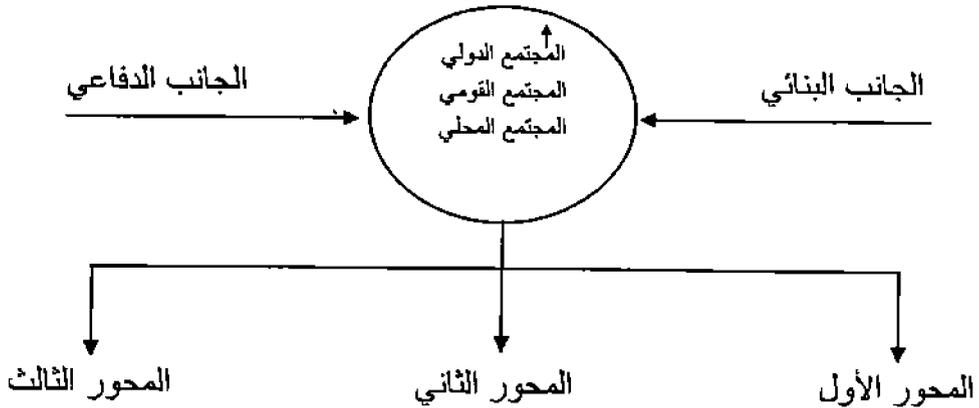


الفصل الخامس

خطة اتصالية واقعية

في عالمنا المعاصر ليس الأمر مغلَقاً ولا بانساً ولا يجب علينا أن نتسلم للياس. فكل صاحب قضية ينبغي عليه أن يحمل قضيته علي كفه ويقرع الأبواب. والدعوة الإسلامية هي قضيتنا الخورية. ونحن مأمورون بالسعي والبلاغ، وأن نحشد أنفسنا قلوباً وعقولاً وأموالاً لتحقيق إبلاغ الدعوة وشرح الإسلام وتفسيره للعالم، والدفاع عن ذاتنا الإسلامية. للدعوة الإسلامية جانبان: جانب بنائي يتمثل في توجيه الخطاب الإسلامي للناس وشرح الإسلام وتفسيره وكسب أنفسكم إليه، ونشر مبادئه وروحه. وكيفية ممارسة نظامه وكيانه. وجانب دفاعي يتمثل في الرد علي الخطاب المعادي للإسلام وبيان جوانب الخطأ فيه سواء عن قصد أو غير قصد. ويشمل ذلك تحصين المسلم ضد الغزو الثقافي، كما يشمل محاولة كسب الرأي العام المعادي جزئياً أو كلياً للحقوق الإسلامية المشروعة، ولحق المسلمين في العيش في سلام وحرية وعدل. هذان الجانبان يمثلان الهيكل الرأسي للدعوة الإسلامية. وفي المقابل يمثل الهيكل الأفقي للدعوة الكيانات الاجتماعية التي يتوجه إليها الخطاب الإسلامي. والتي تتمثل في المجتمع المحلي ثم المجتمع القومي ثم المجتمع القومي ثم المجتمع العالمي. والتقاء الهيكل الرأسي للدعوة مع الهيكل الأفقي لها يفوز لنا خطة الدعوة. ويمثل النموذج التالي تصوراً لهذه المقولة كما نعيد تحديد مفاهيم هذا النموذج باعتبار النموذج إطاراً عاماً لخطة شاملة للدعوة الإسلامية وللإعلام الإسلامي.

نموذج خطة الدعوة والإعلام



الجانب البنائي،

يتمثل الجانب البنائي من خطة الدعوة وخطة الإعلام في حشد الطاقات البشرية والمادية المتاحة في البلدان العربية والإسلامية، ولدى الأقليات الإسلامية في بلدان العالم وتوظيفها في خطة طموحة تحقق أهداف الدعوة الإسلامية وتتسم بالاستمرارية والنماء والتوسع والتنسيق والترابط.

الجانب الدفاعي،

ويتمثل الجانب الدفاعي من خطة الدعوة وخطة الإعلام في أمرين: الأول: مقاومة الغزو الثقافي لحماية المجتمعات الإسلامية، وتفنيذ مزاعم الغزو وفضحه أمام الناس جميعاً، حتى لا يؤثر بيث صورة سلبية للإسلام علي الآخر، ومن ثم يغلط عقولهم وقلوبهم أمام دعوة الإسلام، ويحولهم تلقائياً إلي أعداء أو خصوم للفكرة الإسلامية وللإنسان المسلم.

والأمر الثاني: مقاومة ظاهرة التحريف والتشويه للفكر الإسلامي من داخل صفوفه، سواء بالتطرف أو بالتسيب وإلغاء ضوابطه حتى يصبح مستخاً مختلفاً عن حقيقته وجوهره وروحه. وسواء كانت هذه الظاهرة دسيسة من الغير أو انحرافاً وضيق فهم من أبناء الدين فإن المقاومة واجبة بغض النظر عن أوعية الفتنة ومن ألبها خرجت.

مفهوم المجتمع المحلي ثم القومي ثم العالمي،

يتحدث علماء الاجتماع عن النسق الاجتماعي من دائرة الأسرة الصغيرة زوج وزوجة إلي دائرة المجتمع الدولي. وهذا ما يتلاءم مع طبيعة بحثنا.

إن مفهوم المجتمع في هذا الصدد يعني المفهوم الثقافي والعام. وعلماء الاجتماع^(١٤٥) يقولون لنا: إن الاجتماع الإنساني ليس حشداً من الأفراد كيفما اتفق، ولكنه اجتماع منظم له نظمه وأوضاعه وله أغراضه العامة. ومن الضروري أن تتدخل الإرادة الجمعية والعقل الجمعي لتنظيم المجتمع أيا كان نطاقه وطبيعته وفقاً للاتجاهات العامة وما يرتضيه شعور الجماعة وما تراه محققاً لأهدافها. ولأن كلمة مجتمع Society تعبر عن الإطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون داخل نطاقه، ولأن هذه العلاقات ينبغي أن تكون مستقرة ومنظمة وقائمة بصفة مباشرة وهذا لا يتوفر دائماً، ولأن المجتمع الحديث يتميز بتعقيد جهائره وهيئاته وروابطه، من أجل ذلك كله نجد معظم علماء الاجتماع يفضلون استعمال مصطلحات أكثر دقة داخل الإطار العام للمجتمع. فهم يحددون مصطلح المجتمع المحلي Community للأفراد الذين يعيشون في منطقة أو بيئة محدودة النطاق والمعال، ويحددون مصطلح الجماعات Groups لعدد من الأفراد يمتاز بطابع خاص، ويرتبط أعضاؤه بروابط معينة، ويسعون إلى هدف مشترك، ويكونون في صلة دائمة، مثل فريق الكشافة وفريق كرة القدم وغير ذلك. ويحددون مصطلح الجماهرة أو الزمرة ومجموعها الزمر Crowds مثل مشاهدي مواكب العرس ومواكب الاستعراضات العامة، والمشترون في المظاهرات العامة وما شابه ذلك. ويحددون مصطلح الجمهور The Public بأنه الحشد غير المنظم إرادياً وهو يتألف من أفراد تجمع بينهم أفكار ورغبات مشتركة ورأي عام موحد، وليس بينهم اتصال مباشر لأنهم من الكثرة العددية بحيث يتعذر علي كل منهم أن يقيم علاقات شخصية بينه وبين الآخرين. ويحددون مصطلح الدهماء The Mob أو الفوغاء بأنه حشود غير منظمة تسودها الجلبة والضوضاء، وتؤثر فيها الانفعالات والعواطف والأفكار غير المنطقية، وتخضع للأهواء والرغبات الفردية أكثر من خضوعها لفكر واحد ومشاعر موحدة ومواقف جماعية. ويحددون مصطلح المنظمات والهياكل الاجتماعية

(١٤٥) فاروق محمد العادلي - المدخل إلى علم الاجتماع - دار الكتاب الجامعي - ١٩٨٩م، ص ٧، ص

Associations بأنه عبارة عن طائفة من الأفراد يجتمعون فيما بينهم وينتظمون بمقتضى دستور وقواعد موضوعة ومحددة لتحقيق أهداف مرسومة وتنفيذ وظائف خاصة مثل الأحزاب والنقابات والجمعيات العلمية وغير ذلك. ويحددون مصطلح النظم الاجتماعية Social Institutions بأنها الأوضاع التي يصطلح عليها المجتمع لتنظيم العلاقات بين الأفراد في مختلف شؤونهم، وهي طرق التفكير والعمل السابقة في نشأتها وقيامها علي وجود الأفراد مثل نظم الزواج والبيع والقضاء والمعايير والقيم الأخلاقية.

هذا التحديد الذي يضعه أمانا علماء الاجتماع داخل الدائرة العامة أو الإطار العام لمفهوم المجتمع تزيد من وضوحه. فنراه أشبه بالكرة الشفافة تعرف ما بداخلها ونستطيع أن ندرك التفاعلات التي يمكن أن تحدث بين العناصر الداخلية. ولقد عبر أحد علماء الاجتماع وهو "الثوسر Althusser" عن هذا المعنى بقوله إن المجتمع موجود علي هيئة عناصر كثيرة متشابكة مع بعضها وتم بينها ممارسات مختلفة مثل الاقتصاد والسياسة و "الأيدولوجية"، وتشكل هذه العناصر مجتمعة ما يوصف بالممارسة الاجتماعية. والقاموس الذي وضعه نخبة من علماء الاجتماع العرب^(١٤٦) يؤيد هذا المعنى ففي تعريف كلمة مجتمع Society نجد الاستخدامات الشائعة المثلة فيما يلي:

- أ) مجموع العلاقات الاجتماعية بين الناس.
 - ب) تجمع للكائنات الإنسانية بين الجنسين، ومن كل المستويات العمرية يرتبطون معا داخل جماعة اجتماعية لها كيان ذاتي ونظمها وثقافتها المتميزة.
 - ج) النظم والثقافة التي تتحقق عند جماعة من الناس.
- ويشير هذا المرجع إلي أن المجتمع جماعة الناس الذين لهم ثقافة مشتركة ومتميزة تحتل جزءاً إقليمياً محدداً، وتمتع بشعور الوحدة، وتنظر إلي ذاتها ككيان متميز. من هذا المفهوم الثقافي لمعنى المجتمع يمكننا أن نحدد الحيز الاجتماعي الذي نتقدم إليه بالدعوة. فهو قرية صغيرة في عالمنا العربي والإسلامي، وهو أسرة مهاجرة من أبنائنا في

(١٤٦) المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، تأليف نخبة من أساتذة قسم الاجتماع - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - ص ٤٥١.

الخارج. وهو وطن من أوطاننا وهو شعب أجنبي وهو الساحة العالمية بأسرها. ولكل مجتمع الخطة التي تقدمها له في مجال الدعوة والإعلام الإسلامي.

والعناصر التقليدية المعروفة للخطة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية هي:

١- فهم الواقع.

٢- تحديد الأهداف.

٣- اختيار أنسب الوسائل.

٤- المتابعة والتقييم.

وفي خطط الدعوة والإعلام الإسلامي ينبغي علينا أن نستعين بهذه العناصر في خططنا الفرعية أو المحلية. ولكننا في سياق حديثنا في هذا الفصل عن خطة اتصالية واقعية فإننا نتحدث عن إطار عام شامل للدعوة. ثم تكون الخطط علي المستويات الأفقية والرأسية التي تحدثنا عنها، و ما يتفرع منها وما يستجد من فروعها. لذلك سوف نتناول المحاور التي تضيء لنا الطريق في تخطيطنا للدعوة حتى نتسلح بقدر معقول من علامات الطريق.

المحور الأول الإبداع^(١٤٧) المطلوب هو السهل الممتنع

لعل أوضح تعريف للمعنى المقصود للإبداع في بحثنا هذا هو ما أورده دائرة معارف العلوم الاجتماعية. في صفحات كثيرة نختار منها ما يتعلق بالجوانب الاجتماعية للإبداع. تقول دائرة المعارف المشار إليها: " إن الارتباطات المتعلقة بمفهوم الإبداع ارتباطات نفسية في أغلبها. فالإبداع متعلق بالصفات الشخصية مثل الأصالة والذكاء والتلقائية وما شابه ذلك. ولكن من زاوية أخرى فإن المنظمات الاجتماعية سواء كانت رسمية، أو أهلية، صغيرة، أو كبيرة يمكن أن يطلق عليها أنها إبداعية. الأمر الذي يُعني بها باعتبارها منظمات إبداعية أكثر من مجرد تشغيلها لمجموعة من الأشخاص المبدعين. والآثار المترتبة على هذا المفهوم تجسد في الطريقة التنظيمية للمنظمة الاجتماعية بغض النظر عن عدد العناصر الإبداعية الفردية، فالتقل الجماعي للأفراد لإنتاج منتج جماعي وإنجازات جماعية هي التي تعكس الخصائص الإبداعية للجماعة."^(١٤٨)

هذا المفهوم لمعنى العمل الإبداعي أقرب ما يكون إلي بحثنا هذا. ومن عناصر السهل الممتنع أن يضع الإعلام الإسلامي نفسه في موضع المخاطب. يقول المستشرق الفرنسي المعاصر الراحل "جاك بيرك" الذي قام بترجمة جديدة للقرآن الكريم: " إنني قد جعلت مواقفهم موافقي عندما درست كتابهم المقدس، مع احتفاظي بالمسافة المناسبة،

(١٤٧) في (الصحاح): أبدعت الشيء: اخترته لا على مثال. وفي (المعجم الوسيط): بدعه: إنشأه على غير مثال سابق. وفي (تاج العروس): المبتدع: يقال جئت بأمر بديع أي محدث عجيب. وفي (لسان العرب) لابن منظور: بدع: بدع الشيء يبدعه بدعًا وابتدعه: أنشأه وبدأه.

في القاموس الفرنسي (La rousse) الإبداع (créativité) القدرة على تحيل حلول مبتكرة.

- 3 International Encyclopedia of the social sciences – volume 3 –
The Macmillan company and the free press – 1968 – P. 435 – 460

لتمييز نفسي وإبراز هويتي. لقد وضعت نفسي في جلباهم أي تقمصتهم، كما يقال بالعربية. مع بقاء نفسي. هذا الاندماج العابر يعزّز في المائل والمختلف معاً".^(١٤٩)
لذلك فإن فهم الواقع الذي نتوجه إليه بالخطاب من أهم ركائز الإبداع المطلوب.

ولكي نفهم الواقع فهماً صحيحاً لا بد أن نفرز عوامل عديدة حتى يصبح فهمنا أقرب إلى الصحة والدقة. أولها إزالة الغيوم التي يسببها التضليل الإعلامي علي المجتمعات سواء كانت محلية أو أجنبية أو عالمية. وثانيها معرفة الخلفية الثقافية للواقع الاجتماعي الذي نخاطبه. وثالثها ربط الفروع بالأصول لإقامة هيكل معرفي ومنطقي للواقع الذي نريد مخاطبته. والنقطة الرابعة هي ملاحقة التطورات في الخرائط السياسية والثقافية والعسكرية.

في النقطة الأولى وهي إزالة غيوم التضليل الإعلامي يمكننا الاستعانة بمقاييس المصدقية في الإعلام.

علينا تعميق مفاهيم المصدقية، وتأصيل المقاييس التي يمكن أن تنير لنا دروب التفكير الصائب والرؤية الصائبة والأحكام الصائبة قدر الطاقة، وقدر الجهد الإنساني. وأقصد بلغة الجمع الباحثين العرب والإعلاميين العرب والقراء والمستمعين والمشاهدين العرب. وما أنا إلا من هؤلاء.

خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين وهذا العقد الأول من القرن الحادي والعشرين هبت علي العالم بوجه عام وعلى منطقتنا العربية بوجه خاص رياح وتيارات عنيفة ومتضاربة في دوامات الصراع العسكري والصراع السياسي والصراع الإعلامي. وقد أفرز ذلك ضمن ما أفرز من بين التساؤلات التي ينبغي التفكير فيها ذلك التساؤل: كيف نقيس المصدقية في الإعلام العربي؟

(١٤٩) جاك برك - أي إسلام (ترجمة بشر السباعي) - ط ١ - دار العالم الثالث - القاهرة - ٢٠٠٤م

لقد كتبت بحثاً عام ١٩٨٧م عنوانه: "كيف نقيس المصداقية في الإعلام العربي؟" ولم أتطرق إلي الدراسات الأمريكية والأوروبية عمداً. لأنني كنت أراها بعيدة عن رؤيتي الثقافية وواقعي الإعلامي العربي؛ لأن بحوثهم في العقد السادس من القرن العشرين مرتبطة باقتصاديات الوسائل الإعلامية، في معرفة مدى إقبال أو إدمار المعلنين عن الإعلان في وسائل لا يصدقها. ولكن التطور العالمي وطبيعة هذا البحث أوجبت أن ننظر إلي المصداقية في الإعلام العالمي.

تشير الدراسات السابقة في الإعلام الغربي في قياس المصداقية إلي ما يتصل بالعلاقة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين فيما يتعلق بالحرب الباردة، وفي حالة تعرض أوروبا لهجوم سوفيتي. وكان القصد من دراسة المصداقية عندهم التحقق من مدى مصداقية الإعلام الأمريكي والسياسة الأمريكية عند جمهور حلفائهم الأوروبيين. ولكن العقدين الأخيرين من القرن العشرين حلا رياحا جديدة، وعواصف وتيارات عنيفة، وأمواج كالجبال غيرت مسار الخيام والقلاع والسفن. وتطلبت إعادة التفكير والتدبر والعمل.

ومن محاضرة للأستاذ السيد ياسين^(١٥٠) حول حالة العرب اليوم يقول: "إن الانتقال الحضاري في إطار المجتمع العالمي من نموذج المجتمع الصناعي إلي نموذج مجتمع المعلومات العالمي، يعني في الواقع التركيز علي قضايا ومشكلات ومساائل لم يسبق للمجتمع الصناعي أن طرحها، وذلك أن مجتمع المعلومات العالمي الذي يتحول ببطء وثبات إلي مجتمع المعرفة لا يعني فقط تكنولوجيا المعلومات المتقدمة، ولكنه في الواقع لابد لقيامه من تحقيق الديمقراطية بالفعل في المجتمع. لأنه يقوم علي مبدأ الشفافية وحرية تداول المعلومات، وحق كل مواطن في الحصول علي المعلومات مجاناً وفي أي وقت. ومن شأن ذلك في الواقع ترشيد عملية اتخاذ القرارات في المجتمع".

ويرى السيد ياسين أن تطبيق الديمقراطية في كل الميادين أصبح هو المقدمة الضرورية لتأسيس مجتمع معلوماتي عربي. ينبغي التخطيط له بدقة لكي يتحول إلي مجتمع من

(١٥٠) السيد ياسين - تشخيص الوضع العربي - جريدة الأهرام بتاريخ ١٤-٨-٢٠٠٣م

مجتمعات المعرفة، بحيث تصح عملية إنتاج المعرفة — التي ستكون هي المعيار الفاصل بين المجتمعات المتخلفة والمجتمعات المتقدمة — هي الشغل الشاغل الأساس للنخب السياسية العربية، وللنخب العلمية والفكرية والثقافية.

وعن الحالة العربية يقول السيد ياسين: "الحالة العربية مفهوم يشير إلى أن المجتمع العربي المعاصر أصبح يمر بأزمة بالغة الحدة والعنف، نتيجة لتراكم السلبات عبر نصف القرن الماضي في مجال الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهذه الحالة العربية مارست تشخيصها ووضع البدائل لتجاوزها عديد من المؤسسات العلمية والثقافية العربية، بالإضافة إلى النقد الصارم الذي وجهه إليها عدد كبير من المثقفين العرب النقديين والذين يتمون إلى تيارات فكرية شتى. منهم الماركسيون والاشتراكيون والقوميون والليبراليون والإسلاميون، والذين أجمعوا جميعا على وجود علل أساس في الممارسات العربية".

وثمة بحوث تناولت تحليل مستويات المصادقية على النحو التالي:

أولاً، مصادقية المصدر،

وهي ثلاثة مستويات: مصادقية عنصر الافتتاحية، ومصادقية المصدر المستوعبة، ومصادقية المصدر النهائية، كما حددت الدراسات أربعة مكونات أساس لمصادقية المصدر هي: الإحساس بالأمان للمصدر، الخبرة والمهارة، الديناميكية، الإعجاب أو الحب.

ثانياً، مصادقية القائم بالاتصال،

وأبرز مكوناتها التي أجمع عليها الدارسون هي: إمكانية الوصول إليه، الخبرة الموضوعية، المعاصرة.

ثالثاً، مصادقية الرسالة،

ولها مكونات يتعلق بعضها بشكل الرسالة أو أسلوب بنائها وهي: المقروءة أو المسموعة، توفر عنصر الاهتمام الإنساني، وتنوع المفردات اللغوية المستحدثة، والواقعية، والقابلية للتحري أو الاختبار الواقعي.

رابعاً: مصداقية الوسيلة:

وهي ضمن مصداقية الوسيلة نفسها ومصداقية الوسيلة مقارنة بوسائل أخرى، وقد اختلف الدارسون في تحديد مكونات مصداقية الوسيلة الاتصالية وإن كان هناك اتفاق علي بعض المكونات الأساس مثل:

- ١- الكفاءة.
- ٢- الدقة.
- ٣- تقييم أحدث الأخبار.
- ٤- العناية بالجمهور.
- ٥- العناية بما يفكر فيه الناس.
- ٦- عدم التحيز.
- ٧- القيام بدورها الرقابي.
- ٨- عدم الإثارة.
- ٩- الشجاعة.
- ١٠- الإنصاف.
- ١١- احترام خصوصية الناس.
- ١٢- فصل الحقائق عن الآراء.
- ١٣- إمكانية الوثوق فيها.
- ١٤- العناية بالفائدة العامة.
- ١٥- الالتزام بالمعايير الأخلاقية المهنية.
- ١٦- التمتع بشخصية متميزة.
- ١٧- أن القائمين بالاتصال فيها مؤهلون بشكل جيد.

ويذهب بعض الكتاب إلى القول بأن كلمة المصداقية دخلت لغة الصحافة العربية علي يد الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل. وأنه هو الذي نحت كلمة المصداقية ترجمة لكلمة المصداقية **Credebility** في الكتابات السياسية والاستراتيجية والإعلامية. وهذا - في رأبي - صواب سديد.

وحجتي في ذلك أن الأستاذ هيكل رجل أسلوب وبلاغة إلى جانب معرفته الإنجليزية معرفة يوثق بها، ومعرفته الإعلامية والسياسية بمصطلحات عصره عالمياً.

وهي كلمة جديدة علي اللغة الإنجليزية ذاتها فلم أجدها في دائرة المعارف البريطانية الجديدة **The New Encyclopedia Britannica** طبعة ١٩٩٥م. وإن كانت في قاموس "ويستر" حيث يذكرها القاموس بأنها الخاصة التي تقود إلى الاعتقاد أو التصديق، وبأنها القابلية للتصديق. كذلك في قاموس "لونجمان"

(Longman) يذكرها القاموس بأنها الخاصية التي تجعل القول مستحقاً للصدق والثقة.

وثمة تعريف لمصداقية المصدر علي أنه الدرجة التي عندها يدرك الفرد أن المصدر الإعلامي يصور العالم الحقيقي بصدق كامل.

ومن الباحثين من يرى أن مصداقية المصدر تشمل الحكم علي كل من خيرة وسائل الإعلام في تغطية موضوع ما. وتحيز الوسائل الأخرى في تغطية الموضوع ذاته، ولقد وضعت الدكتورة عزة عبد العزيز تعريفاً لمفهوم المصداقية تقول فيه: المصداقية نوع من المعالجة المهنية والثقافية والأخلاقية للمادة الصحفية بحيث يتوافر فيها كل أبعاد الموضوع والاتجاهات المطروحة حوله بطريقة متوازنة تستند علي شواهد وأدلة، ودقة في عرض المعلومات وفصلها عن الآراء الشخصية التي ينبغي أن تعلن بوضوح وصراحة، وتجرد من الأهواء والمصالح الخاصة بحيث تتسق مع الآراء الأخرى التي تطرحها الصحيفة أو يطرحها الكاتب في وقت آخر أو موضوع آخر، وذلك في إطار من التعمق والشمولية، يراعي علاقة الخاص بالعام، وربط الجزء بالكل شرط أن تعكس هذه المادة الصحفية أولويات الاهتمام عند الجمهور^(١٥١). ويسرد الدكتور محمود علم الدين المفاهيم الواردة في عدد من بحوث الإعلام في أمريكا وأوروبا قائلًا^(١٥٢): أعطت البحوث عدة أبعاد لجوانب ومكونات للمصداقية هي:

- ١- الإحساس بالأمان Safety.
- ٢- الخبرة Qualification.
- ٣- الحيوية Dynamism.
- ٤- المعرفة Knowledgability.
- ٥- الدقة Accuracy.
- ٦- الإنصاف Fairness.
- ٧- الاكتمال

.Completeness

(١٥١) عزة عبد العزيز - رسالتها التي نالت بها درجة الدكتوراه عام ١٩٩٦م بعنوان: مصداقية الصحافة

المصرية "القومية والحزبية" - كلية الآداب بسوهاج - ص ٩٠.

(١٥٢) د. محمود علم الدين - مصداقية الاتصال - دار الوزان للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٨٩م.

وفي محاولة الاقتراب من تعريف المصداقية كانت للدكتورة سهام نصار^(١٥٣) في بحثها عن المصداقية والصفوة إضافة جديدة مستقاة من البحوث الغربية حيث تقول:
تعددت المقاييس التي استخدمها الباحثون لدراسة مصداقية الخبر، فقد استخدم Kay وجونسون (١٩٩٨ و ٢٠٠٠) مقياساً من أربع عناصر هي: القابلية للتصديق Believability، والعدالة أو الإنصاف Fairness، والدقة Accuracy، والتعمق Depth of.

أما Sunder (١٩٩٩) فقد استخدم ستة عناصر لقياس مصداقية الخبر وهي: العدالة، والدقة، والقابلية للتصديق، والموضوعية، والتحيز Bias، والإثارة Sensationalism. وثمة باحثون آخرون قاموا بعمل مقياس من العناصر التقليدية التي وجدت في الأدبيات وهي: الدقة، والجدارة بالثقة، وعدم التحيز، والاكتمال، واحترام الخصوصية، وتمثيل مصالح الفرد، والاهتمام برفاهية المجتمع، وفصل الرأي عن الحقيقة، والأسس الواقعية للمعلومات المنشورة، وكفاءة المندوب.

وميز ويستلي Westly وسيفرين Sevrin بين مصداقية المصدر ومصداقية الوسيلة، ووجد أن تفضيل الفرد للوسيلة والوقت الذي يقضيه معها يرتبط إيجابياً بمستوى المصداقية المنسوب إليها.

وتقول الدكتورة سهام نصار:

"لقد استنتج الباحثون أن المصداقية مفهوم متعدد الأبعاد، ومع ذلك ظلت الأبعاد التي تم تحديدها لقياس المصداقية تختلف من دراسة إلى أخرى وقد اهتم الباحثون بتطوير مفهوم أكثر اكتمالاً للمصداقية، وتوصلوا من خلال التحليل العاملي للأبعاد الكامنة للمصداقية إلى تحديد العناصر التالية: الإحساس بالأمان Safety، والكفاءة Qualification، والديناميكية Dynamism، والمعرفة Knowledgability،

(١٥٣) سهام نصار — بحث مقدم للمؤتمر السنوي التاسع لكلية الإعلام — جامعة القاهرة — ٢٠٠٣ م.

والدقة Accuracy، والإنصاف Fairness، والاكتمال Completeness، وكذلك الفروق بين وسائل الإعلام والناس كمصادر للاتصال".

وفي القانون يكاد يتوازي معنى الصدق بمعنى الحق وبمعنى العدل. وإذا كان لي أن أختتم هذا البحث برأيي في مفهوم المصداقية فإنني لا أجد تعريفا لها غير كلمة واحدة هي الإنصاف.

بمعنى أن يأخذ كل ذي حق حقه في السؤال التقليدي المركب في الإعلام من؟ ومتى؟ وماذا؟ وأين؟ وكيف؟. ذلك السؤال الذي يتعلمه طالب الإعلام في السنة الأولى عن الأسئلة التي يجب عنها الخبر لتكتمل عناصره.

ومن اللافت للنظر أن الإنصاف قيمة في حياتنا العربية حتى قبل ظهور الإسلام. فكتب التاريخ تقول إن العرب في الجاهلية كانوا أهل نصفة. وكان حلف الفضول في الجاهلية مثلاً علي الإنصاف.

وجاء الإسلام ليؤكد مفهوم الإنصاف. وجزء من آية واحدة من القرآن الكريم في سورة الأنعام يؤكد المعنى الذي تقصده، بل ختام الآية يحمل الدلالة الإعلامية التي نتحدث عنها.

(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) "آية ١٥٢ سورة الأنعام"

ومن اللافت للنظر أيضاً أن هذا الجزء من الآية القرآنية يرد في الوصايا التي وردت محكمة في سورة الأنعام.

ما هي المقاييس التي نقيس بها المصداقية؟

من الأدبيات الشائعة في الكتابات الإعلامية حتى منتصف القرن العشرين قولهم: "أنك قد تخدع ٩٠% من الناس لمدة ٩٠% من الوقت، ولكنك لا تستطيع خداع كل الناس طول الوقت".

هذه المقولة الطريفة لم تعد صحيحة ولا صادقة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. والسبب هو تدفق الإعلام وعبره الحواجز الجغرافية وتنوعه وتضاده وتصادمه. وقد عبر تقرير عالمي هو تقرير "ماكبرايد" عن الإعلام المعاصر بأن اتخذ التقرير عنوان "أصوات متعددة في عالم واحد".

ولما جاء العقد الأخير من القرن العشرين وجاءت معه السطوة الأمريكية وهيمنتها على العالم أصبح الإعلام في ظلها صناعة سابقة التجهيز. وفرضت في حروبها في أفغانستان وفي حربها الثانية على العراق حظراً فاق ما فرضته في حربها الأولى في فيتنام تفوقاً شاسعاً. وأخفقت وضللت وكذبت على مواطنيها وعلى العالم أجمع بما جعل مصداقيتها في الحضيض. ولكن الأقسى للباحثين عن الحقيقة هو دفن الحقائق في قبور سحيقة.

وبرغم ذلك فإن أمانة العلم تفرض علينا أن نطرح السؤال الجوهرى:

هل يستطيع البحث الإعلامى أن يضع مقاييس يسترشد بها المستقبل (القارئ والمشهد والمستمع) لمعرفة مدى الصدق في الرسالة الإعلامية؟ إذا كان ذلك مستطاعاً فما هي المقاييس؟ أما المرسل فإن البحث الإعلامى في هذه الزاوية لا يستطيع أن يقدم له إلا عون التحذير، بمعنى أن البحث الإعلامى يقول للمرسل دائماً عليك بالصدق في رسالتك الإعلامية. ولكن هذه الزاوية من البحث الإعلامى تقدم التحذير مقروناً بالدلائل على عواقب عدم المصداقية في الرسالة الإعلامية.

المقاييس الأربعة الرئيسية:

نستطيع أن نحدد المنطلقات الأساس لدراسة المصداقية في الإعلام العربى بل وفي الإعلام بصفة عامة فيما يلى:

المقياس الأول هو:

بمعنى أن وضوح اللغة في التعبير يعد عاملاً حاسماً في صدق الرسالة الإعلامية، وغموض اللغة في الرسالة الإعلامية يؤكد في معظم الأحيان عدم المصداقية.

المقياس الثانى هو:

بحيث تحجب النظرة الأحادية بقية الأبعاد، فتصبح الواقعة أو القضية أو الظاهرة غير واضحة، بسبب غيبة بقية الأبعاد التي تجلي الواقعة أو القضية أو الظاهرة وتزيدها وضوحاً ومصداقية.

المقياس الثالث هو مقياس عدم المعرفة أو جزئية المعرفة:

ويرتبط هذا المقياس بجهل القائم بالاتصال وعدم معرفته المعرفة العامة، أو عدم

معرفته للموضوع الذي يكتب عنه حتى ولو كان خبيراً صغيراً، أو الجهل المهني.

المقياس الرابع هو مقياس التزوير

وهذا المقياس يمثل جانب الجريمة المباشرة في المنطلقات الأساس لدراسة المصادقية في إعلام أي مجتمع من المجتمعات، وفي أي نوع من أنواع الإعلام. هذه المنطلقات أو المقاييس نتناولها بشيء من الدراسة علي النحو التالي:

المقياس اللغوي

ويتمثل هذا المقياس في زاويتين رئيسيتين هما: الاستعمال الخاطئي، ثم غيبة الديمقراطية عن اللغة.

في الزاوية الأولى لاحظ علماء اللغة وغيرهم من الباحثين الإعلاميين والاجتماعيين أن الاستعمال الخاطئي، للغة سواء كان داخل وسائل الإعلام أو خارجها يفسد الفكر الوطني، ويعطل من قدرات الناس الذهنية.

يحدثنا د. عثمان أمين^(١٥٤) عن أخطار اللغة، وكأنه يحدثنا عن أخطار الإعلام في

الفكر القومي والرأي العام في الوقت نفسه، فيذكر من أخطار اللغة:

استعمالنا إياها استعمالاً لا إرادياً "كليشياً" دون يقظة أو وعي. فقد يقع للكثيرين من الناس الوهم بأنهم يفكرون حين يتكلمون أو يكتبون، في حين أنهم يتشدقون بالفاظ ويسودون صفحات. وكم من مرة نبه النقاد والمفكرون إلى الأخطار الجسيمة التي تتمخض عن انتشار الشقشات اللفظية، وشيوع النزعات البيغوية. ومن الأخطار الآلية أن تفكر بأفكار لغيرنا، حفظناها دون أن نعيها وبعياً واضحاً، أو أفكار بليت ورئت وتخلت عن روح العصر، أو أفكار يكتنفها الغموض والإهام، وإن توهمنا أنها واضحة يحكم الإلف والعادة المألوفة التي تضي عليها عادتنا اللغوية بداهة ظاهرية. اللغة عرضة لأن تشل حركة الفكر وتعوقه عن التوثب؛ لأنها تجسد ما يستعصي عن التجسيد. علينا ألا نجعل من اللغة العقبة في سبيل الفكر.

(١٥٤) د. عثمان أمين - في اللغة والفكر - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٦٧ ص ٥٣.

لاشك أن المقياس الثاني أصبح واضحاً بسبب حدة وتنافر الأيدولوجيات المعاصرة. ولا شك أن المقياس الثالث وهو الجهل يفصح نفسه ولكنه خطير؛ لأن متلقى الرسالة قد يكون أكثر جهلاً.

يبقى مقياس التزوير لبعض التفاصيل.

مقياس التزوير.

يرتبط بهذا المقياس تحريف الرسالة الإعلامية، والإعلانات التحريرية، والرقابة، وإخفاء جوانب من الخبر، وصرف الانتباه، وما إلى ذلك مما يمكن إجماله في الدرجات المتفاوتة من التزوير.

ويمكننا أن نتخيل مجالاً يبدأ من رقم واحد إلى رقم عشرة يمثل مقياس التزوير. يبدأ من إغفال عنصر من الخبر وينتهي بالاختلاق والكذب الصريح. ولعل بيت الشاعر المشهور للشاعر شوقي:

فكلام فموعد فلقاء

نظرة فابتسامة فسلام

لعل هذا البيت يصور المراحل وتسلسلها. فإذا استعرنا أسلوب شوقي في تطور الغرام وطبقناه على التزوير الإعلامي لأمكننا تجسيد هذا المقياس من مقاييس الحكم علي المصادقية في الإعلام.

وفي السينما الأمريكية يختلط الفن السابع (كما يطلق النقاد علي فن السينما) بالإعلان اختلاطاً كاملاً حتى يصبح المنتج السينمائي مركباً من عنصرين تجارة الفن وتجارة البضائع. تقول الصحفية نادية خليفة^(١٥٥) المحررة بمجلة صباح الخير القاهرية: اعتادت هوليوود دائماً خلق الباطل الجديد وتحويله إلى نموذج لا يتحكم فقط في عقول وجيوب الشباب ولكنه يسيطر علي سلوكهم وحركاتهم وتصرفاتهم وثياهم.

وهي تتفق علي تحويل البطل إلى نموذج أربعة أضعاف ما تنفقه علي الفيلم نفسه. وتضرب مثلاً لتحويل الممثل ترافولتا إلى نجم يقلده الشباب فقد تكلف ذلك

(١٥٥) نادية خليفة - المراهقون قادمون - مجلة صباح الخير بتاريخ ٢٢-٧-٢٠٠٣.

مليون دولار. أما الفيلم "جريس" الذي سبب شهرته فتكلفته ربع مليون دولار. ولكن الربح الأكبر فكان في البنطلون الأسود الضيق و"الجاكيت" البيضاء الملقاة بإهمال علي الكف. لقد تحول النموذج إلي سوق رائجة لهذه البضائع نظراً لكثرة إقبال الشباب عليها.

وتقول نادية خليفة: إن دراسة لباحثة تدعى "إليسا كو آرت" عنوانها بيع وشراء المراهقين أثبتت أن المراهقين الأمريكيين أنفقوا مائة وخمسة وخمسين بليون دولار من الدخل العام سنة ٢٠٠٢ علي شراء ملابس ومساحيق تجميل وشرائط فيديو وأغاني بسبب المراهقين العشرين الذين قدمتهم هوليوود في أفلامها نجوماً لفتيات وفتية تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والتاسعة عشرة. وغزا هؤلاء مجالي الإعلانات وعروض الأزياء.

والمشكلة الرئيسية التي تواجه القائمين علي تزوير الرسائل الإعلامية في مختلف المجتمعات أن الحقيقة الإعلامية يصعب طمسها، وأن تعبير القرية الإعلامية علي الكرة الأرضية يؤكد حقيقة إعلامية معاصرة، هذا من جانب ولكن من جانب آخر أصبح طمس الحقيقة وتزوير الإعلام جزءاً من السياسة الأمريكية في عملياتها العسكرية وفي خطوات الهيمنة والسيطرة علي العالم. وفي علاقتها بإسرائيل.

برغم هذه التناقضات يظل ميزان الفهم الإعلامي والبصيرة الثقافية ممسكة بالميزان قابضة عليه تجسيداً واستعارة من ميزان العدالة المشهور.

بهذه القواعد الرئيسة يمكننا أن نتطرق لقياس المصدقية في الإعلام العربي. تلك المصدقية التي تشبه الروح إذا خرجت من الجسم فقد الجسم مباشرة مبررات وجوده. وإذا خرجت المصدقية من الرسالة الإعلامية أصبحت الكلمة المكتوبة مثل ورقة الشجر الذابلة الساقطة وأصبحت الكلمة المسموعة أو المرئية أشبه بالنباح المقلق البغيض.

وفي النقطة الثانية وهي معرفة الخلفية الثقافية للواقع الاجتماعي الذي نخاطبه، لا بد أن نلم برؤية الآخر الثقافية والعقدية لنا باعتبارنا مسلمين. وأشهر الكتابات في هذا الشأن هو رؤية أوروبا الثقافية منذ الحروب الصليبية إلي كتابات المستشرقين القديمة والحديثة، ثم العداء الصهيوني للإسلام، وبروز المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة

الأمريكية حديثاً. هذه الروافد وغيرها لا بد من القائمين بالدعوة أن يتعمقوا في فهمها ودراسة مدى تأثيرها على النخب الثقافية والسياسية. وعلى عامة الجماهير في بلدانهم. وإذا كانت دراسة الآخر كثيرة من البر الغربي إلا أن القليل أو النادر في المكتبة العربية عن رؤية البوذية للإسلام مثلاً فما يزال البر الشرقي لا يلقي منا ما يجب من الدراسة في هذا الشأن.

ولقد كشف الكاتب والأستاذ في هارفرد الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية الدكتور ادوارد سعيد قبل وفاته منذ بضع سنين في عدة كتب العلاقة الحديثة بين عالم الإسلام والعرب والشرق من جهة، والغرب وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية من الجهة الأخرى. ومن حسن الحظ أن كتب الدكتور ادوارد سعيد تمت ترجمتها إلى العربية قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١م. وهي في جملتها تعين الإنسان العربي على فهم البر الغربي الذي نريد أن نتوجه إليه بخطاب الدعوة الإسلامية وبالإعلام.

ويحدد الدكتور ادوارد سعيد مصطلح الإسلام كما يستخدم في الغرب المعاصر بأنه يدل على أنه شأن واحد بسيط. وهذا التعريف الغربي المعاصر زاحر بالمغالطات. وأن رجال الإعلام الأمريكيين يستخدمون مصطلح الإسلام بصورة سلبية بعيدة عن الموضوعية ولقد زودت هذه التغطية- في رأي ادوارد سعيد - مستهلكي الأخبار في الغرب بالشعور بأنهم يفهمون الإسلام دون أن تشعرهم، في الوقت نفسه، بأن القسطن الأوفر من التغطية الإعلامية الغربية النشطة إنما تقوم على مادة هي أبعد ما تكون عن الموضوعية. وأن ذلك التسطيح السلبي لمفهوم الإسلام انتقل من دوائر الإعلام إلى دوائر البحوث والمراكز الاستراتيجية.

وفي صيف ٢٠٠٤م كشفت استطلاعات الرأي في الولايات المتحدة الأمريكية أن ٥٤% من الشعب الأمريكي لا يزال يعتقد أن بالعراق أسلحة دمار شامل، برغم سقوط النظام العراقي، واحتلال العراق، وفشل جميع الأجهزة الأمريكية والدولية في العثور على أية أسلحة دمار شامل.

يعلق د. سعيد اللاوندي (١٥٦) قائلا: " ماذا تعني هذه النتيجة؟ تعني - بلا شك - أن الأكاذيب التي روجتها الإدارة الأمريكية لتبرير موقفها من احتلال العراق لا تزال جاثمة في رؤوس الأمريكيين. وفي كل مرة تجدد واشنطن نفسها في مازق بشأن أكذوبة قمرع لاختراع أكذوبة أخرى. والأكذوبة التي تروج لها واشنطن هي أن هناك متسللين عربا جاءوا من الحدود العراقية السورية وينتمون إلى تنظيم لقااعدة، وهم الذين يقودون هذا النزاع المسلح مع قوات الاحتلال... وليس من شك في أن هذا الإدعاء ظالم لشعب العراق، ومناف للحقيقة في آن واحد.. فالشعب العراقي ليس في حاجة إلى من يقوده للنضال دفاعا عن أرضه وعرضه.. فهو سليل حضارة تضرب بجذورها عبر آلاف السنين، ومن السذاجة - كما قال الرئيس الفرنسي جاك شيراك يوماً - إسقاط هذه الجذور التاريخية العريقة عند التعامل مع شعب الرافدين.

والحقق أن العراقيين يعرفون جيداً أن الأمريكان جاءوا لكي يقوا، وبالتالي فإن شرارة المقاومة الباسلة لن تنطفئ مهما تكون ضراوة الهجوم الذي تشنه قوات الاحتلال على الآمنين العراقيين في بيوتهم أو في مساجدهم.

أكذوبة أخرى روجتها واشنطن تستند إلى الاعتداءات التي وقعت علي خمس كنائس في بغداد، ومفادها أن المسيحيين يتهددهم الخطر ومن ثم فهم يحتاجون إلى حماية أمريكية.

وهي أكذوبة لا تنطلي على طفل؛ لأن إشاعة الفوضى وعدم الأمان في العراق هي سياسة أمريكية تريد منها إثبات أن الوجود الأمريكي (الاحتلال) بات حيويًا؛ لأن الانسحاب سيكون - في هذه الحالة - معناه اندلاع حرب أهلية في العراق ليس فقط بين السنة والشيعة، ولكن أيضا بين المسيحيين والمسلمين.

بكلمة أخرى: إن أمريكا أرسلت بقواتها (ربيع مليون جندي) ليس لإسقاط نظام صدام حسين، وإنما لاحتلال العراق، والبقاء فيه إلى أطول مدة ممكنة.. وكل ما يروج حول صلة القاعدة بالعراق أو وقوع أحداث عنف وقتل، ليس إلا من قبيل ذر الرماد في العيون، حتى لا ندرى الحقيقة كما هي.

(١٥٦) د. سعيد اللاوندي - المشهد العراقي - في البدء كانت الكذبة - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤-٨-

فأمريكا تستهلك ٣٠% من إنتاج الطاقة العالمي وبعد ربع قرن سوف تستهلك أكثر من ٧٠% وبالتالي فإن السيطرة علي ثابى مخزون نفطي في العالم يصبح هدفاً و غاية في ذات الوقت وهو ما حدث بالفعل.

ومن ثم، فأى حديث عن رسالة ليبرالية لأمريكا في العراق، والمنطقة هو، حديث كاذب، فواشنطن ترى أن القرن الحادى والعشرين يجب أن يكون أمريكيا قحاً.. وفرض الهيمنة علي مصادر القوة هو الخطوة الأولى في طريق الألف ميل الذي يفتح شهية أمريكا نحو السيطرة علي المنطقة عبر أداتين: الأولى اقتصادية وهي العولمة، والثانية سياسية وهي مشروع الشرق الأوسط الكبير."

يقول الكاتب الصحفي إبراهيم نافع في كتابه (جنون الخطر الأخضر) وحملة تشويه الإسلام^(١٥٧): "تعرض الإسلام والمسلمون لحملة مغرضة وشرسة منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ووسط هذه الحملة ضاعت الحقيقة بين صفوف الرأي العام الغربي، وغاب الحوار، خاصة بعد أن وجد المسلمون أنفسهم تحت حصار الأقلام الغربية المتطرفة ودبابات الاحتلال الأجنبي في أفغانستان والعراق وفلسطين، والواقع أن ما يتعرض له المسلمون اليوم من محاولات للتهميش والإقصاء ليس جديداً، فقد سبقته محاولات أخرى في الماضي البعيد منيت بالفشل. فالمعروف أنه ما إن استقرت أركان الإمبراطورية الإسلامية حتى تعرضت للأخطار والابتلاءات، وكان أبرزها ثلاث محاولات كبرى لإخراج الأمة من التاريخ والجغرافيا أيضاً والقضاء عليه حضارة وعقيدة، ولكنها انتهت بذهاب المعتدين إلي ما وراء التاريخ.. ذاب التار وأهارت دولتهم الغاشمة.. وبعد فترة كمن واجه المسلمون حروب الإفناء الصليبية بجيوشها الجرارة متعددة الألوية والرايات فأخرجتهم الأمة من أراضيها وحررت القدس، ومزقتهم في دويلاتهم أزماناً، وخلال مرحلة الاستعمار الحديث تمكنت الأمة من إنمأك قواه واسترداد استقلالها وسيادتها وذلك في القرن الماضي. وها هي الأمة الإسلامية تتعرض للمحاولة الرابعة لإخراجها من التاريخ وهي المحاولة التي تزامنت مع الحرب علي أفغانستان ثم العراق، في إطار ما يسمى بالحرب ضد الإرهاب، والمزاعم الموجودة في الغرب ضمن ما ترده الأقلام المتعصبة هناك

(١٥٧) إبراهيم نافع - جنون الخطر الأخضر - جريدة الأهرام بتاريخ ٣١-٨-٢٠٠٤م.

بالتحذير مما تسميه بجنون الخطر الأخضر.. هذه المحاولة الرابعة تستند إلى أربعة أسباب لإفناء الأمة، وتغيير مقاومتها اعتماداً على السيطرة على اقتصاديات المسلمين وتركيز القيادة في يد الولايات المتحدة (ورثة الاستعمار القديم) التي عمدت إلى تحويل النفط والموقع الجغرافي من نعمة لأصحابه إلى نقمة عليهم."

ويقول الدكتور محمد عمارة^(١٥٨): "الحرب الثقافية والإعلامية التي شنها الغرب - بقيادة أمريكا - على الإسلام، عقب قارعة سبتمبر تصعيداً لموقف تاريخي وإعلاناً عن موقف قديم.. ولم تكن مفاجأة بأمر غير مسبوق ليس له تاريخ.

ولقد كان السعي إلى "علمنة الإسلام" وتحويله إلى "صيغة نصرانية" تقف عند العبادات والشعائر والوصايا الأخلاقية، تاركة شئون الدنيا والدولة والسياسة والاجتماع والاقتصاد للنموذج الغربي والقيم الغربية هو القاسم المشترك في كثير من التصريحات والكتابات التي طفحت بها هذه الحرب الإعلامية الغربية ضد الإسلام وحضارته وثقافته ومناهج التعليم فيه.

* فالرئيس الأمريكي "جورج بوش الصغير" الذي أعلن حرباً عالمية قبل بدء التحقيقات في "قارعة سبتمبر" ١١ قد وصف هذه الحرب في ١٦ سبتمبر بأنها "حملة صليبية"، وذلك عندما وجه أصابع - بل وصواريخ الاتهام - إلى الإسلام المقاوم الاستعمار والصهيونية، واصماً كل ألوان المقاومة الإسلامية، ومنظمات الجهاد الإسلامي، التي تسعى لتحقيق التحرر الوطني وحق تقرير المصير "بالإرهاب" .. رغم أن هذه المنظمات جميعها تقاتل لتطبيق قرارات الشرعية الدولية!!

* وفي ١٧ سبتمبر سنة ٢٠٠١م - أي بعد ستة أيام من الأحداث - وصف توني بلير رئيس وزراء إنجلترا هذه الحرب بأنها "حرب المدنية والحضارة في الغرب ضد البربرية في الشرق"!!

* وفي ٢٦ سبتمبر سنة ٢٠٠١م أعلن سيلفيو بيرلسكوني رئيس وزراء إيطاليا أن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية ولا بد من انتصار الحضارة الغربية على

(١٥٨) د. محمد عمارة - نظرات في الهجمة الأمريكية على الإسلام - جريدة الأخبار بتاريخ ١٢-٩-

الإسلام الذي يجب أن يهزم لأنه لا يعرف الحرية ولا التعددية ولا حقوق الإنسان.. وأن الغرب سيواصل تعميم حضارته وفرض نفسه علي الشعوب.. وأن الغرب قد نجح حتى الآن في تعميم حضارته وفرض نفسه علي العالم الشيوعي وقسم من العالم الإسلامي.

* وفي ٨ نوفمبر سنة ٢٠٠١م حدد الرئيس بوش الصغير أن الحضارة الغربية — التي أعلن الحرب للدفاع عنها — هي حضارة اليهود والمسيحيين وأن هناك في الجانب الإسلامي من "معرض علي قتل اليهود والمسيحيين" ولذلك حمل الرئيس بوش ملكا عربيا هو ملك الأردن "رسالة تحذير موجهة إلي عدد من الحكام العرب تطالب بضرورة أن يتوقف الإعلام في بلادهم عن حملة الكراهية لأمريكا وإسرائيل".!

ووجدنا أحد أقباط المهجر في أمريكا والمشرف علي ملحق المهجر في صحيفة وطني القبطية — مجدي خليل — يهاجم البرنامج التليفزيوني المصري رئيس التحرير الذي يقدمه الإعلامي القدير الأستاذ حمدي قنديل واصفا هذا البرنامج بأن أكثر ما فيه دعائي تحريضي يحض علي الكراهية خاصة تجاه أمريكا وإسرائيل.

ثم توالت التصريحات غير المسئولة من المسئولين الغربيين ذوى التأثير في صناعة القرار الغربي فوجدنا الآتي: ليرمان وأشكروفت وأولبرايت:

* السيناتور الديمقراطي الأمريكي جوزيف ليرمان الذي كان مرشحا لمنصب نائب الرئيس في الانتخابات الرئاسية الأمريكية السابقة ومرشح الرئاسة القادمة يعلن أنه لا حل مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليها أمريكا القيم والنظم والسياسات التي تراها ضرورة فالشعارات التي أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية بل تتعداها إلي الدول الأخرى.

* أما وزير العدل الأمريكي جون أشكروفت فلا يكتفي بالحديث عن حرب الحضارة ضد البربرية والخير ضد الشر والمدنية ضد التخلف وإنما يذهب ليتفوق علي غلاة المنصرين عندما يسب إله العالمين الذي يؤمن به مليار ونصف مليار من المسلمين فيقول وزير العدل هذا: "إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل الإله".

وفي نوفمبر سنة ٢٠٠١م يكتب الصحفي اليهودي الأمريكي القريب من دوائر

صنع القرار توماس فريدمان فيقول: إن الحرب الحقيقية هي ضد الفكر الإسلامي والتربية والتعليم الإسلاميين وبنص عبارات مقاله الذي كتبه من ييشاور "إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس، ولذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية ضد ابن لادن بسرعة ونخرج.. وعندما نعود من أفغانستان يجب أن نكون مسلحين بالكتب الحديثة لا الدبابات.. فقط عندما تنمو تربة جديدة، وجيل جديد يقبل سياساتنا كما يجب شطائنا وإلي أن يحدث هذا لن نجد أصدقاء لنا هنا".

ثم يكتب هذا الصهيوني الأمريكي مهدداً المدارس الإسلامية التي تعترف مناهجها الدينية بكل النبوات والرسالات والشرائع وتقول حتى للمشركين "لكم دينكم ولي دين" يكتب في معرض التهديد للمملكة العربية السعودية في مقال صاغه في شكل رسالة من الرئيس جورج دبليو بوش إلى الشيخ صالح الشيخ وزير الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، يكتب توماس فريدمان فيقول "إن مشكلتكم مع الشعب الأمريكي أن مدارسكم والألوف من المدارس الإسلامية التي تمولها حكومتكم وجمعياتكم الخيرية في مختلف أنحاء العالم تدرس أن غير المسلمين أدنى من المسلمين".

ثم يطلب صياغة إسلام معتدل فيقول: "نريدكم أن تفسروا الإسلام علي نحو يقدر التسامح الديني وإذا تعذر عليكم أن تفعلوا هذا واجهتم مشكلة، وباتت المملكة العربية السعودية في حربنا علي الإرهاب كما كان الاتحاد السوفيتي في حربنا علي الشيوعية. هذه النماذج تمدنا بتصور للخلفية الثقافية التي تعيشها المجتمعات التي نريد مخاطبتها إسلامياً. وهي ضرورة لا ينبغي أن تسدى إلينا اليأس أو الأمل.

وفي النقطة الثالثة والمتتمثلة في ربط الفروع بالأصول لإقامة هيكل معرفي ومنطقي للواقع الذي نريد مخاطبته، نقرأ شهادة الشهود لنذكر أخبار نماذج من المجتمعات الإسلامية، ونستطيع الربط الذي لا يجعل مفرداتها غير منطقية.

يكتب مندوب الأهرام (١٥٩) في روما عن الإسلام والمسلمين في إيطاليا فيقول:

" ينقسم المسلمون الإيطاليون إلى نوعيات مختلفة، فمنهم من اعتنق الإسلام لدواعي الزواج من مواطنة مسلمة أو عربية تحديداً، ومنهم من اعتنقه إيماناً بعبادته، وآخرون يجدون في الله سبحانه وتعالى ملاذاً يختلف عن "الرب" الغربي، وهناك من ينتمى إلى الأوساط اليسارية المتطرفة ويميل إلى الإسلام الثورى السننى للإخوان المسلمين، بينما يفضل اليمينيون الإسلام الصوفى أو الخمينى الشيعى، فضلا عن مجموعات من الفاشيين السابقين يجدون في القرآن الكريم تأكيداً لعدائهم لليهود".

وإذا أضفنا إلى ذلك أكثر من ٥٠ ألف مهاجر مسلم يحملون الجنسية الإيطالية، تتسع أطراف الإسلام في إيطاليا لتضم مسلمين أصوليين، ولكنها تبقى بسيطة ومحدودة إذا ما قورنت بكم النزاعات والتقاليد الدينية والسياسية التى تكمن في المليون مسلم الموجودين في إيطاليا حالياً من بينهم أقلية متدينة تتراوح نسبتهم بين ٥ و ١٠% وكذلك نسبة أكثر ضآلة تمثلها التنظيمات الإسلامية الموجودة في إيطاليا.

ومع ذلك عندما حاول البعض توحيد هذه التنظيمات أو إقامة اتحاد فيدرالى بينها تحت مسمى "مجلس مسلمى إيطاليا" الذى كان من المقرر أن يتفاوض مع الدولة الإيطالية على ثمة اتفاقية على غرار الاتفاقيات الموقعة مع الكنيسة الكاثوليكية والجاليات اليهودية والبروتستانتية والبوذية ليس فقط من أجل الحصول على التمويل أو التبرعات التى تتمثل في نسبة خصم من الضرائب وإنما أيضا للحصول على الوضعية القانونية، وهى جهود فشلت بالكامل إذ لم ينجح المركز الإسلامى الثقافى في روما إلا في التوصل إلى اتفاق غريب مع اتحاد الجاليات الإسلامية في إيطاليا، يمكن القول إنه جمع بين المحافظين ومناهضى العولمة. ومن ناحية أخرى يسعى وزير الداخلية جوسيبى بيزانو منذ وقت طويل لتشكيل مجلس استشارى من مسلمى إيطاليا على أن يكون معتدلاً وممثلاً لجميع المسلمين وهى معادلة صعبة، فهناك جانب كبير من المسلمين في إيطاليا شأنهم كشأن اليساريين متعاطفون مع المقاومة العراقية والمقاومة الفلسطينية. وعلى الرغم من أن القائمة جاهزة تقريبا، إلا أن وزير الداخلية بيزانو أرجأ تدشين هذا المجلس الاستشارى إلى ما بعد الانتخابات الأوروبية والى المحلية في إيطاليا حيث يخشى حزب بيرلسكونى "فورسا إيطاليا" أن يهدى لرابطة الشمال جزءاً من ناخبيه الراضين للمشروع برمته.

ولنفس السبب وتحت ضغوط ومخاوف الرابطة أبقّت الحكومة الإيطالية على القانون الذى يسمح بحرية العقيدة داخل أدرّاج البرلمان، وهو القانون الذى كان مسمّح البلديات والأقاليم صلاحية الاتفاق مع الجاليات المحلية لحل مختلف المشاكل العملية لهذه الجاليات، وكذلك إمكانية إقامة أكاديمية لاهوتية لتكوين وتأهيل أئمة المساجد من أجل الحيلولة دون تفوق الجالية الإسلامية في "جيتو" مغلق مثل اليهود يرفض مبادئ دولة الحقوق الليبرالية، ولكن المشروع تم تجاهله تماماً نظراً لأن رابطة الشمال والقسّس دون باجيت يوتسو مستشار بيرلسكوني للشئون الدينية إلى جانب قطاعات كبيرة من الأغلبية الحاكمة لا تريد هذا القانون وربما يعاد فتح هذا الموضوع مرة ثانية في الدورة التشريعية القادمة.

ومع ذلك، يمكن تلبية أو الوفاء بأهم احتياجات الجاليات الإسلامية بدون جلبة أو نفقات مبالغ فيها.

وهناك ظاهرة أخرى أثارها الكاتب جويدو رامبولدى في صحيفة، لاريوبليكا، تتمثل في أن الإسلام في إيطاليا يبدو عدوانياً ويشير الخوف، ولو كان مهاجرو إيطاليا من الطبقة البرجوازية في مصر أو باكستان أو لبنان أو السنغال أو نيجيريا وبنجلاديش لبدا الإسلام ديناً متحرراً وغير مقيد، ولكن المهاجرين القادمين إلى إيطاليا من الفقراء القادمين من مجتمعات ريفية يحاولون في الغالب أن يعيدوا تكوين هذه المجتمعات المغلقة عليهم في إيطاليا مثلما فعل اليهود في كل دول العالم، والإيطاليون في المهجرات الأولى إلى الأمريكتين ويفعل الصينيون الآن.

ويضيف رامبولدى إن الإيطاليين يتجاهلون المسلمين المعتدلين ولكن عندما يرون المسلمين العدوانيين يعتبرون كل المسلمين مثلهم، أو يعتبرون هذه الجاليات جالية واحدة وأن الإسلام واحد، ويرتكبون في ذلك خطأ الأمريكيين الذين يعتبرون لدوافع عنصرية أن الأمريكيين الآخرين من أصل أفروأمريكي منحرفون بالفريزة.

ولكن هل لهذا الخطأ في المنظور تلبس علينا الأمور؟ على أية حال ليست إيطاليا الوحيدة التي تعاني تشتت الأفكار، ففي فرنسا دافع عن قرار حظر الحجاب في المدارس من يريد تفادى "صراع الحضارات" ومن يرفضه أيضاً، وهكذا في إيطاليا أيضاً حيث

تباينت مواقف القوى السياسية إزاء فكره نزع الصليب من المدارس التي لا تفتقر إلى سند قانوني، حيث عارضته رابطة الشمال والتنظيمات الإسلامية واليمين بأكمله وجانب كبير من اليسار، وقابلته بالامبالاة أو وافقت على نزع الصليب قطاعات ليبرالية من اليهود وشباب المسلمين، بينما فوجئ الكاثوليك بأن الصليب أصبح مجرد رمز عرقي، ويحتلظ الأمر حتى على القانون الجنائي الذي ينص على أنه إذا اتصل أحد المسلمين بإمام المسجد وطلب منه معرفة كيفية الذهاب إلى العراق للانضمام إلى صفوف المقاومة يتم إلقاء القبض عليه من جانب الشرطة بتهمة غير محتملة لأن القانون لا ينص على جريمة التواطؤ، في حرب مقدسة... ومع ذلك فالقوانين الإيطالية موجودة ولكن يغفل أو بمعنى أدق غير معروف كيفية تطبيقها ولا غرو أن تقرر وزارة الداخلية طرد بعض الدعاة السلفيين الذين يفتنون كراهتهم لليهود أو النساء لأنهم ينشرون أفكارا تقوم على التعالي أو الكراهية العنصرية والعرقية أو بتهمة التحريض على العنف لأسباب عنصرية عرقية قومية أو دينية كما فعلت من قبل وزارة الداخلية من خلال طرد ثلاثة من أئمة المساجد ومن بينهم إمام مسجد روما، وهي القوانين التي أكد كاستيللي وزير العدل ضرورة إعادة النظر في تلك المواد التي يعتبرها غير ليبرالية، حيث إنها تطبق أيضا على من يثير الكراهية ضد المسلمين مثل صحف رابطة الشمال التي ينتمي إليها الوزير نفسه ومثل الديمقاسوجيين في الشمال الشرقي المقربين من أوساط الأغلبية الحاكمة.

ومن الواضح أن كل هذه الظروف تدفع الإيطاليين إلى التفكير في هويتهم وهو ما يجعلهم أكثر عصبية إزاء "المسألة الإسلامية" من خلال إثارة التساؤلات: هل الشعب الإيطالي قبيلة مسيحية؟ أم دولة حقوق ليبرالية أو مجموعة من المجتمعات المتوازية والحقوق الجماعية؟ وعليه فيجب على الجميع الإمعان والاهتمام بهذه التساؤلات وعلى رأسهم الجالية الإسلامية التي يجب عليها أن تتأمل في داخلها، فإن أزمة الهوية التي تعاني منها أكثر حدة وصعوبة من أزمة الشعب الإيطالي.

إن إيطاليا على ضوء خبرتها الشابة مع الهجرة المسلمة أمامها فرصة كبيرة لتعزيز الاندماج والحوار والتبادل الثقافي والتعايش، وبإستطاعتها أيضا أن تعمل بسياسات فعالة بدءا بإزالة اللبس وسوء الفهم والأنماط الثابتة والأحكام المسبقة التي لها تأثيرات خطيرة

ومن بينها على سبيل المثال ربط الإسلام بالمآجد واعتبار المآجد الممثل الوحيد للإسلام في إيطاليا وهو منظور يمكن أن يعرقل عملية تكوين إسلام إيطالي وأوروبي، حيث ينبغي على إيطاليا أن تقيم علاقات مرنة تتيح مجالات أوسع للإسلام الأكثر اتساعاً وانتشاراً كما لا بد على إيطاليا أن تعي وتفهم أن اندماج الإسلام لا يعني التخلي عن الإيمان وممارسة الشعائر الدينية على الملأ، ولا بد من السماح بهذه الشعائر بما يتوافق مع القواعد القضائية والاجتماعية الأوروبية حتى لا تؤدي هذه السياسة إلى تهميش المسلمين المتدينين ودفعهم إلى التطرف، ويجب أن نعلم أن من يشن الحرب على الحجاب - كما حدث أخيراً - يعمل عن قصد أو غير قصد من أجل زيادة الإرهاب وانتصار سادة الحرب.

هذا النموذج الذي يرصده مندوب الأهرام في روما يمثل للقائمين بالدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي عبرة؛ لأن كل مجتمع يحتاج إلى حكمة وبصيرة في الخطاب الإسلامي الموجه إليه.

مثال آخر مختلف نلقاه في اليابان، ففي أواخر عام ٢٠٠٣ تم افتتاح مركز لدراسات الشريعة الإسلامية في جامعة " تاكو شوكو " ويرصد مندوب الأهرام هذا الحدث ويجري حديثاً صحفياً مع مدير المركز فيقول:

"علها المرة الأولى، التي يجري فيها افتتاح ندوة جامعية، في اليابان بتلاوة آيات بينات من القرآن الكريم، أمام حشد كبير ضم المثات من الأكاديميين والمثقفين والمهتمين بشئون الشرق الأوسط وشئون العالم الإسلامي، بالإضافة إلى حشد كبير من رجال الإعلام والأعمال، جاءوا جميعاً إلى رحاب جامعة " تاكو شوكو " في قلب العاصمة اليابانية، طوكيو، لحضور مراسم افتتاح "مركز دراسات الشريعة" كأول مركز من نوعه يهدف إلى إجراء بحوث شاملة عن الإسلام وعن الشريعة الإسلامية في اليابان.

"الأهرام" التقت مع مدير المركز الدكتور نور الدين موري، الذي قدم شرحاً وافياً عن تاريخ الدراسات الإسلامية في جامعة "تاكو شوكو" وقصة إنشاء المركز، على هامش الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس الجامعة، ونشاطات مركز دراسات الشريعة خلال المرحلة المقبلة في اليابان.

يقول الدكتور نور الدين موري: إن مركز دراسات الشريعة تأسس في ديسمبر من عام ٢٠٠٣م، وتم افتتاحه منذ وقت قصير بغرض إجراء دراسات تتناول الأوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم الإسلامي.

وسيقوم المركز إلى جانب ذلك بترجمة ونشر تلك الدراسات، بالإضافة إلى عمل دراسات حول أمهات كتب الشريعة من أجل تنشيط حركة الوعي الإسلامي علاوة على تنظيم دراسات تحليلية للفتاوى الإسلامية.

ومن المنتظر أن يعقد المركز محاضرات وندوات إلى جانب إصدار نشرة تتضمن أهم الأبحاث والأنشطة والتقارير، وتضم لجنة دراسات الشريعة بالمركز نخبة من المتخصصين في الشريعة الحاصلين على درجات علمية من دول إسلامية وجميعهم مؤهلون لتقديم المشورة في الأمور المتعلقة بالشريعة، كما أنهم جديرون بتقديم وتوفير التدريب والإرشاد للطلاب المسلمين في اليابان مع استعدادهم لتبادل الآراء مع المركز والهيئات الإسلامية الأخرى.

ومرجعية "مركز دراسات الشريعة" في اليابان تستند إلى أعلى الهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي، وفي مقدمتها جامعة الأزهر، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية بالسعودية، ورابطة العالم الإسلامي، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة، والمجلس العالمي للأطعمة الحلال باندونيسيا، والمعهد العربي الإسلامي بطوكيو، وجامعة مسلمي اليابان.

ويضيف مدير مركز دراسات الشريعة الإسلامية في اليابان قائلا: يرجع تاريخ الدراسات الإسلامية في جامعة "تاكو شوكو" إلى عام ١٩٠٠ ميلادية، حين تأسست الجامعة وكان الحاج "نور محمد" إبيه تاناكا، ثاني ياباني مسلم يؤدي فريضة الحج عام ١٩٢٤ من بين أول دفعة تخرجت من هذه الجامعة وقامت الجامعة منذ تأسيسها بمجهود متواصلة في إجراء البحوث وتبادل البرامج المتعلقة بالدراسات الإسلامية والعربية.

ويوضح الدكتور نور الدين موري أن جامعة "تاكو شوكو" هي أول مؤسسة تعليمية عليا في اليابان تقدم برنامجا لتعليم اللغة العربية، بدءا من عام ١٩٦٢، ولا تزال الجامعة تقوم بهذا الدور حتى اليوم بهدف تطوير الدراسات الإسلامية في اليابان.

تخرج في الجامعة عدد كبير من اليابانيين، الذين يمارسون أنشطة في مختلف البلدان الإسلامية، وتضم هيئة التدريس في مركز دراسات الشريعة بالجامعة متخصصين يابانيين مسلمين، تخرجوا في جامعة أم القرى بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة الأزهر بالقاهرة والجامعة القطرية.

وسوف يدعم هؤلاء المتخصصون الدراسة في المركز بما نالوه من علم وخبرة في أثناء دراساتهم بالدول الإسلامية، ويتطلع المركز لكي يصبح نبعاً لا ينضب للدراسات الإسلامية والشريعة ويلعب دوراً فاعلاً في القطاعات العامة والخاصة باليابان.

ويؤكد الدكتور نور الدين موري أن هدف مركز دراسات الشريعة في اليابان لن ينحصر في المجال الأكاديمي فقط بل سيتعداه إلى نشر الفهم الصحيح عن الإسلام لدى الشعب الياباني، وحتى تتحقق هذه الغاية سيقوم المركز بتقديم خدمات استشارية للمؤسسات اليابانية التي تربطها علاقات تجارية مع البلدان الإسلامية كما سيتابع المركز إمداد المسلمين في اليابان بالمعارف الشرعية الصحيحة مما يسهم في خدمة المجتمع الإنساني.

وفي حفل الافتتاح الذي أقيم بجامعة "ناكوشوكو" تحدث رئيسها الدكتور "فوجيتو تاتسونوبو" مؤكداً عزمه إحاطة "مركز دراسات الشريعة" برعايته المباشرة من أجل إعلاء كلمة حق للإسلام الذي لم يوف حقه من المعرفة الصحيحة باليابان. أما كبير مستشاري جمعية مسلمي اليابان المستشار "عمر هاياشي" فقد ألقى كلمة باللغة اليابانية وأخرى باللغة العربية التي يجيدها تماماً معرباً عن عظيم سروره بتأسيس مركز دراسات الشريعة مؤكداً الدور الكبير الذي سيقوم به المركز لنشر الدعوة الإسلامية في اليابان. (١٦٠)

هذا النموذج الإيجابي في اليابان يفتح شهية القائمين بالدعوة الإسلامية لخطط ونوافذ جديدة.

(١٦٠) كمال جاب الله - هدف المركز نشر الفهم الصحيح للإسلام لدى الشعب الياباني - جريدة الأهرام بتاريخ ١١-٦-٢٠٠٣م.

نموذج ثالث لا يرتبط باختلاف المجتمعات ولكنه يرتبط بالظواهر الإجتماعية. هذا المثال يتمثل في عدم فهم الظاهرة الإسلامية الحالية (عالميا بل ومحليا) فمنذ الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي برزت ظاهرة عودة جموع واسعة من الجماهير الإسلامية إلى الذات، بعد ما يقرب من قرن من الاستعمار، وصيغ المجتمعات المستعمرة بالكثير من قيمه وعاداته وتقاليده. وفي مجال البحث العلمى لا يجوز التدليل بالانطباعات أو المشاهد الشخصية إلا ما جاء على سبيل الشاهد أو المثال.

في صحيفة الأهرام الصادرة يوم السبت ٣/٤/٢٠٠٤ ميلادية الموافق ١٣ من صفر ١٤٢٥ هجرية يقول أنيس منصور (١٦١) في عموده اليومي "مواقف" أنه زار بلده "المنصورة"، ويصف ما طرأ على بلده من تطور ثم يقول عند زيارته لجامعة المنصورة بالحرف الواحد: "ولا أريد أن أذكر شيئا غريبا أدهشنى وأعجزنى عن التفكير، وهو أن ٩٩% من الفتيات الجميلات محجبات!"

وفي الصفحة الرابعة من صحيفة الأهرام في اليوم نفسه نقرأ الخبر التالى بنصه:
"لرأى كنفورت - من مازن حسان: بدأت ولاية بادن فورتمبورج الألمانية العمل بقانون حظر ارتداء المدرسات المسلمات الحجاب في المدارس الحكومية، بعد أن أقر برلمان الولاية أمس مشروع القانون بأغلبية ساحقة لتصبح بذلك أول ولاية ألمانية تطبق قانون حظر ارتداء الحجاب في مدارسها في حين تعكف العديد من الولايات الأخرى على إعداد قوانين مماثلة.

وكان برلمان بادن فورتمبورج قد رفض مشروع قانون تقدم به حزب الخضر ينص على اختصاص كل مدرسة بحظر التدريس بالحجاب أو السماح به للمدرسات المسلمات بعد التأكد من توجهات كل معلمة.

(١٦١) أنيس منصور علم من أعلام الصحافة العربية منذ العقد السادس من القرن العشرين. وهو في تاريخ مقاله هذا يخطو إلى الثمانين من عمره، وحصل في مطلع شبابه على المركز الأول في قسم الفلسفة بجامعة القاهرة وعين معيداً فيه ثم هجر الجامعة إلى الصحافة. وسطع نجمه فيها سطوعاً.

ووجه حزب الخضر انتقادات حادة لوزيرة التعليم بالولاية لدعمها هذا القانون ووصفه بأنه يعد انتهاكا للدستور الألماني؛ لأنه يمنع المدارس المحجبات ولكنه يسمح للراهبات بارتداء غطاء الرأس داخل الفصل الدراسي".

وخلاصة القول إن ربط القروع بالأصول يشبه الغزل المتشابك. وعلينا أن نجعل هذا الغزل سلسا ومتناسكا في خطابنا للدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي.

وفي النقطة الرابعة والمتمثلة في ملاحقة التطورات في الخرائط السياسية والثقافية والعسكرية ينبغي على القائم بالدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي أن يدرك طبيعة التغيرات المتلاحقة محليا وقوميا وعالمياً. تلك التغيرات المتسارعة لا بد أن تقابلها أساليب جديدة ومبتكرة وواعية في مجال الدعوة.

يكشف الكاتب الصحفى عبده مباشر (١٦٢) جذور العداء الغربى للإسلام فيقول:
"على امتداد القرون والعقود والسنوات الماضية ارتفعت أصوات فريق من أهل الغرب للدفاع عن الإسلام والمسلمين، وهذا الفريق من أهل العلم والموضوعية والإنصاف ضم الآلاف من المستشرقين وعددا كبيرا من الغربيين الذين أسلموا وحددا أقل من المتعاطفين وإن احتفظوا بديانتهم.

وكل هؤلاء بكل الكتب والبحوث والدراسات والمقالات التى كتبوها واخاضرات التى ألقوها لم يتمكنوا أبدا من تغيير مسار التيار العام الذى يتفجر بالكراهية للإسلام والمسلمين، وهذه الكراهية المزوجة بالعداء والاستعلاء لها أسبابها التاريخية والدينية. وإذا كان أهل الغرب يتحملون نصيبا وافرا من المسئولية عن هذا الموقف، فإن لأهل العالمين العربى والإسلامى نصيبا لا بأس به فيما جرى ويجرى. وإذا ما حاولنا البحث عن الأسباب التاريخية فإنه يمكننا اكتشاف جذورها الأولى عند بدء تمدد دولة المدينة (يثرب) الإسلامية والخروج بالدعوة من شبه الجزيرة العربية إلى العالم الخارجى، وبالتالى الاصطدام بالإمبراطوريتين الفارسية والرومانية الشرقية. وعندما تمكنت الجيوش

(١٦٢) عبده مباشر - المسلمون وأوروبا وألف عام من الحروب - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧-٦-

الإسلامية من فتح بلاد الشام ومصر واقتطاعهما من الإمبراطورية الرومانية، كان ذلك بمثابة نقطة البداية التي انتهت بالاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) أى أن المسلمين منذ لحظة الخروج من شبه الجزيرة العربية، وحتى لحظة استيلاء الجيوش العثمانية على هذه العاصمة التاريخية، قد تمكنوا من القضاء على إمبراطورية من الإمبراطوريتين المسيحتين. ولم يكتف المسلمون بذلك، بل زحفوا من شمال أفريقيا إلى شبه جزيرة ايبيريا واستولوا على الأندلس، ثم حاولوا اجتياز جبال البرانس، ولكن شارل مارتل أوقف هذا الزحف في معركة بواتيه التي يسميها العرب بلاط الشهداء لكثرة ما سقط بها من شهداء.

ولكن هذا التوقف — لم يكن يعنى نهاية المخاوف المسيحية، فإذا كان الزحف أو المد الإسلامى قد توقف من ناحية الجنوب باختيار الدولة الإسلامية فى الأندلس عام ١٤٩٢، فإنه تجدد من الشرق حيث اكتسحت الجيوش العثمانية دول البلقان ودقت أبواب فيينا عاصمة إمبراطورية النمسا والمجر وواصلت قوات الإمبراطورية العثمانية محاولات اقتحام المدينة، ولكن بالرغم من استمرار عمليات الحصار وكثرة محاولات الاختراق فإنها لم تتمكن من دخول فيينا. ولكن المخاوف والفرع الذى عاشته الإمبراطورية وأهلها كان قويا وعميقا ومؤثرا. وإذا ما عرفنا أن القوات الإسلامية التى فتحت الأندلس قد انطلقت شمالا وشرقا حتى بعد الهزيمة فى موقعة بلاط الشهداء وتمكنت من الاستيلاء على قطاعات من الشواطئ الجنوبية للقارة الأوروبية. كما نجحت مجموعة من مواصلة التقدم شمالا حتى وصلت إلى سويسرا. فإن هذا النجاح لم يجد الدعم من جانب القوات التى استقرت فى الأندلس، لذا سرعان ما انحسر هذا المد. وفى بدايات التمدد الإسلامى وإنشاء أول قوة بحرية إسلامية برعاية والى مصر عبد الله بن أبى السرح وانتصار هذه القوة فى أولى معاركها على القوات البحرية للإمبراطورية الرومانية ذات الخبرة والتاريخ، بدأت عمليات السيطرة على جزر شرق البحر الأبيض المتوسط. مثل هذا الانتشار الإسلامى بكل ما حفل به من انتصارات شكل خطراً هائلا ومستمرا على القوى الأوروبية المسيحية وأسهم فى توليد مجموعة متوالية من الصدمات المؤثرة والمفزعة التى أثرت بقوة فى وعى الأوروبيين. وكان منطقيا أن تنبت الكراهية وتثمر ثمارها المرة مبكراً.

ولكن هذه الثمار كانت مجرد بداية أو فلنقل الأساس الذي بنيت عليه فكرة الحروب الصليبية. وقد أطلق هذه الفكرة وحوّلها إلى واقع أوربان الثاني بابا الكنيسة الكاثوليكية عام ١٠٩٥ من مدينة كلير مونت. وبقوة الكراهية وتحت تأثير المخاوف والرغبة في الثأر، واصل الرجل دعوته لقتال "المحمدين" تحت راية الصليب لتحرير الأرض التي شهدت مولد يسوع (عيسى عليه السلام) وبعثه بالديانة المسيحية من أيدي البرابرة الوثنيين ووصف "المحمدين" بمعنى أنهم أنصار محمد، أى أنهم أنصار رجل وليسوا أصحاب رسالة أو أهل دين سماوى؛ لأنهم لو قالوا بذلك لكان اعترافاً منهم بالإسلام وبعث النبي محمد برسالة من الخالق. وباستخدام وصف "المحمدين" حولوا الأمر إلى مجرد رجل من حوله بعض الأتباع وأنه ومن معه قاموا باحتلال وتدنيس الأراضى المقدسة. والحملة الصليبية التى بدأت عام ١٠٩٦ استمرت حتى القرن الخامس عشر. وطوال هذه القرون نشطت الكنيسة وباقى المؤسسات القائمة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين. وقد شارك فى هذه الحملات المنظمة والمكثفة والمتصلة فلاسفة وشعراء وكتاب ومفكرون وتجّار وقادة وملوك وأمراء وفرسان واقطاعيون. وتحوّلت هذه الحملات إلى دراسات ومؤنعات ودواوين شعر، ثم أصبحت جزءاً ومكوناً رئيسياً بالمناهج الدراسية بالمدارس والمعاهد والجامعات. وبالرغم من إنتهاء الحروب الصليبية فإن هذه المناهج الدراسية بكل ما بها من تشويه للإسلام والمسيحية مازالت موجودة فى معظم المدارس والجامعات حتى الآن، ومازالت تملأ آلاف الكتب والمؤلفات وتعكس على الأعمال السينمائية والتلفزيونية فى مختلف الدول الأوروبية. ولم يكن من المتوقع أن يمضى الأمر بصورة مختلفة، فالقوات المتوجهة للقتال فى حاجة إلى بناء فكرى ومعنوى يتفق والهدف من الحملات العسكرية. فإذا كانوا فى طريقهم لتحرير الأراضى المقدسة من البرابرة والوثنيين فمن الضرورى تكريس هذه الصورة وتعميقها بشكل مكثف وبسيط فى نفس الوقت. ولم يترك المسئولون عن هذه الحملة نقيصة لم يلصقوها بالإسلام والمسلمين. وتحت راية الصليب تمكن جوتفريد (جودفروا) من الاستيلاء على القدس عام ١٠٩٩، وتوالى الحملات التى لم تقتصر على الشام وفلسطين، أى الأرض التى شهدت مولد المسيح عليه السلام وما جاورها، بل امتدت إلى مصر تحت راية الحملة الصليبية السادسة التى انطلقت عام

١٢٤٨، وتونس التي كانت من نصيب الحملة السابعة عام ١٢٧٠ .
ويمكن القول: إن الصدام والحرب قد استمر لأكثر من ألف عام بين المسلمين
والمسيحيين والأوروبيين. وبقينا فإن ألف عام من المخاوف والفرع والحقد والكراهية
وحملات التشويه المنظمة للإسلام والمسلمين لا بد أن تترك آثارها وبصماتها القوية على
الشخصية الأوروبية بصفة خاصة والغربية بصفة عامة."
وعندما انتقل زمام العدوان الغربي على العرب والمسلمين من القبضة الأوروبية إلى
الهيمنة الأمريكية وجدنا صورة من صور التطور في الخرائط السياسية والثقافية
والعسكرية تلمح مطالب الهيمنة الأمريكية والصهيونية في الحديث عن الشرق الأوسط
الكبير.

"فلم يكن غريبا بعد أن منيت الجهود الأمريكية - الأوروبية بالفشل في تحقيق تسوية
سلمية في الشرق الأوسط أن تحولت الأنظار إلى البحث عن بدائل جديدة لإصلاح
أحوال المنطقة.. وادعاء السعي إلى الارتقاء بشعوبها اقتصاديا وديمقراطيا وفي مجال
الحرريات وحقوق الإنسان وتمكين المرأة... فذلك هو البديل الذي يمكن أن يصرف
الأنظار عن قضية السلام وعن العريضة الإسرائيلية والأوضاع المتردية التي انتهت بفرض
احتلال لا تبدو له نهاية في العراق.

يتأكد ذلك من خلال ما جرى في ميونيخ أثناء اجتماع مؤتمر السياسات الأمنية
حول الدور الذي يمكن أن يضطلع به حلف الأطلنطي في الشرق الأوسط والمشروعات
التي يمكن أن تسهم فيها أوروبا وأمريكا للنهوض بالمنطقة واجتثاث جذور الإرهاب وهو
ما يمكن أن يتحقق عن طريق " شراكة شاملة " مع الناتو تبسط لواءها على منطقة
"الشرق الأوسط الكبير" لتحديث هذه المنطقة ودمقرطتها وتحريرها من التخلف
الاقتصادي والسياسي، وليس مصادفة أن تكون هذه المنطقة هي التي تضم الدول
الإسلامية من أقصى الشرق إلى حدود الغرب وأن يكون هذا التصور هو المفهوم الذي
يروج له المحافظون الجدد في الإدارة الأمريكية.

والسبب وراء هذا التوجه الجديد واضح كما أسلفنا. ولا يمكن فهمه إلا في إطار
تعثر الخطط الأمريكية في العراق لإعادة انتاجها كدولة ديمقراطية موحدة وانحياز جهود

السلام بين إسرائيل والفلسطينيين وتستهدف أمريكا من وراء ذلك ان يحمل اسو سى عاتقه مسئولية التصدى للأوضاع الأمنية في العراق كما حدث بالنسبة لأفغانستان وإغراق النظم العربية الحاكمة تحت ضغط مشروعات إصلاحية يفرضها الغرب قد تجدد معها هذه النظم نفسها في موقف الدفاع عن وجودها كما يصرف اهتمام شعوب الإسلامية والعربية إلى النضال من أجل الديمقراطية والحرية بدلا من صرف طاقاتها في المظاهرات حول العراق والقضية الفلسطينية. أما بالنسبة لأوروبا. فإن مثل هذا المشروع الأمريكي " لشرق أوسط كبير" كما قال رامسفيلد في خطابه لإقناع الأوروبيين سوف يحميها من الإرهاب ويعد من موجات الهجرة غير المشروعة وعصابات الجريمة المنظمة وقريب المخدرات وكل ما تعانيه أوروبا من سلبات بسبب ارتباطها الجغرافي والثقافي والسياسي بدول الجوار الإسلامية في البحر المتوسط وأفريقيا.

في كل هذا لا توجد إشارة من قريب أو بعيد إلى مشكلة السلام ولا كيف سيواجه مشروع " الشرق الأوسط الكبير" وضع الهيمنة الإسرائيلية المتفاقمة وتهدداتها باستخدام القوة ضد الدول المجاورة في سوريا ولبنان.

أما الدول والأنظمة العربية فهي لا ترى ولا تسمع ولا تتكلم، ويبدو أنه ليس لها أيضا حق المناقشة والتشاور حول المشروعات التي تحدد مصيرها ومستقبلها... يكفي أن تناقشه أمريكا مع أوروبا وحلف الأطنطى والدول الصناعية الكبرى. وبعبارة أخرى يبدو المنطقة وقد وضعت ثنائيا تحت الوصاية الأمريكية الأوروبية، وقد يتم ضمها إلى حلف الأطنطى دون أن تدري" (١٦٣)

وفي أواخر عام ٢٠٠٤م دخل حلف الأطنطى أداة تنفيذية للسيطرة على العالم العربي والإسلامي. وكان عنوان الورقة التي ناقشها الحلف في اجتماعه الذي عقد في إسطنبول عام ٢٠٠٤م " الديمقراطية والتنمية في الشرق الأوسط: استراتيجية أطنطية للمشاركة " وفقا للرؤية التي تبناها المشاركون فإن محصلة الجدل الذي ثار في المنطقة منذ أطلقت المبادرتان الأمريكية والأوروبية للإصلاح الديمقراطي في الشرق الأوسط هي أن

(١٦٣) سلامة أحمد سلامة - المنطقة تحت الوصاية - جريدة الأهرام بتاريخ ١٩-٢-٢٠٠٤م.

الحكومات هناك تراهن على عدم جدية الغرب في دفعها إلى هذا الطريق، وأن الناشطين من أجل الإصلاح في الدول المعنية بتشككون بدورهم في أن الأمريكيين والأوروبيين سيخصصون من الموارد ويبدلون من الجهود ما يكفي لإطلاق عملية التحول المطلوبة، أي أن هؤلاء بتشككون بدورهم في جدية الغرب..

ومن هنا فلا يزال الجمود هو سيد الموقف، ولكسر هذا الجمود لابد من إثبات الجدية من جانب الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بكل الوسائل.

ومن الضروري أن يكون في مقدمة هذه الوسائل وضع تصور متفق عليه ومعلن للسياسة الأطلنطية في الشرق الأوسط أو ما يسمى الآن استراتيجية المشاركة عبر الأطلنطي، وهي تتكون من ثلاثة أركان، أولها مساعدة القوى الساعية إلى التغيير الديمقراطي في المنطقة برمتها، والثاني إيجاد بيئة إقليمية تساعد وتسهل التحول نحو الديمقراطية، أما الثالث فهو إعادة تنظيم الصف الأوروبي الأمريكي في التعامل مع الشرق الأوسط على مدى عدة أجيال مقبلة.

من هذا التصور تنبثق الأدوات المقترحة لتطبيق كل ركن من تلك الأركان الثلاثة. فمن أجل مساعدة قوى الإصلاح والديمقراطية يجب أن تجعل جميع الحكومات الأوروبية والولايات المتحدة وكندا هذه القضية هي القضية المركزية في علاقتها مع دول الشرق الأوسط. وإذا كانت حوافز الرئيس الأمريكي جورج بوش الواردة في مشروعه المسمى تحدى القرن الحادى والعشرين والتي تمثلت في مكافآت مالية وعينية للدول العربية التي تبرز تقدما نحو الديمقراطية لم تؤد إلى إحراز التقدم المتوقع أو جزء منه باستثناء ما تحقق مسبقا في المغرب والأردن، فإن الخطوة التالية هي العقوبات بمعنى ربط المعونات الأمريكية والأوروبية، وكذلك التسهيلات التجارية والتعاون العسكرى والأمنى بالخطوات الإصلاحية، وتوجيه ما سوف يخضم من الحكومات من تلك المعونات إلى منظمات المجتمع المدني، وإلى الحركات الناشطة في المطالبة بالإصلاح الديمقراطي، ولذا فإن هناك حاجة ماسة إلى تكوين صندوق أوروبأمريكى كأداة غير حكومية للاتصال بمنظمات المجتمع المدني في الشرق الأوسط علنا وبمىنتهى الشفافية، مثلما سبق وحدث بالنسبة للصندوق الأوروبأمريكى للديمقراطية في آسيا، ونظيره لدعم التحول الديمقراطي

في أوراسيا، أى في روسيا وشرق أوروبا.

يتوجب على الاتحاد الأوروبي إعادة النظر في عملية برشلونة للتعاون الأورو-متوسطى بحيث يصبح التحول الديمقراطي في جنوب المتوسط وشرقه جزءا لا يتجزأ من هذه العملية، كما تقتضى الجدية من الأوروبيين أن يخصصوا مزيدا من الموارد المالية لوسائل دفع التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط الموسع من خلال منظمات المجتمع المدني، فأوروبا لا تخصص حاليا سوى ٤. مليون دولار سنويا لهذا الغرض في حين تخصص الولايات المتحدة ٦٠٠ مليون دولار، والحد الأدنى المقبول للمساهمة الأوروبية ينبغي ألا يقل عن ٥٠٠ مليون دولار.

لكن نجاح كل تلك الوسائل يتطلب شرطا أوليا، وهو اتفاق شركاء الأطلنطي على إعلان نيات واضح في الشرق الأوسط بحيث تتبدد أولا شكوك الأوروبيين أنفسهم في الأهداف الأمريكية، بما إن كثيراً من ممارسات الإدارة الحالية تؤكد أنها مشغولة بإعادة إنتاج عصر الاستعمار أو على الأقل إعادة إنتاج مشروع امبراطورى بدءا من الشرق الأوسط بما يغير طبيعة النظام العالمى من ناحية ويلحق أضرارا مؤكدة بالمصالح الأوروبية من ناحية أخرى، فإذا تبددت شكوك الأوروبيين فسوف يكون من السهل تبديد شكوك شعوب الشرق الأوسط في الأهداف الأمريكية، علما بأن أزمة الثقة في المنطقة في السياسة الأمريكية مسئولة عن كثير من السلبات الحالية، وفي مقدمتها في الأشهر الأخيرة فتور استقبال الشعوب العربية والمسلمة للمبادرة الأمريكية للشرق الأوسط الموسع، رغم إدراك هذه الشعوب حاجتها الماسة إلى الإصلاح الديمقراطي، ورغم أزمة الثقة القائمة بين هذه الشعوب ونظم الحكم القائمة عليها.

بطبيعة الحال هناك وسائل أخرى مساعدة في تطبيق هذا الركن الأول من أركان الاستراتيجية الأطلنطية لدفع التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط. أبرزها توسيع الاتصالات والتبادل الثقافي مع المجتمعات العربية والمسلمة إلى أقصى حد وتزويد هذه المجتمعات بالمهارات والقدرات الفنية اللازمة لتعزيز مؤسسات التحول الديمقراطي، بدءا من أدوات المراجعة والرقابة المالية في مواجهة الفساد المالى والإدارى الحكومى، وانتهاء بالرقابة على الأجهزة الأمنية، مروراً بمراكز المساعدة القضائية والتشريعية.

إذا كان المشاركون في وضع هذه الورقة قد سلموا مضطرين على الأرجح بوجهة نظر حكوماتهم بعدم ربط التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط وجوداً وهدماً بتسوية المشكلة الفلسطينية وملحقها في سوريا ولبنان، فإنهم في الحقيقة تبنا هذا الربط من الناحية العلمية ومن الباب الخلفي، فهم أفتوا أن سوابق التاريخ في أوروبا نفسها بشطريها الغربي والشرقي تؤكد أن التحول الديمقراطي الداخلي لا يتأتى - فضلاً عن أن ترسخ قواعده - إلا في بيئة إقليمية سليمة وآمنة، فلولا وجود حلف الأطلسي لما أمكن للديمقراطية أن تنمو وتتوطد في أوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، ولولا ميثاق هلسنكي لما أمكن إنجاز التحول الديمقراطي في أوروبا الوسطى والشرقية بعد إهيار سور برلين وانتهاء الحرب الباردة.

ومع أن الصراع العربي الإسرائيلي ليس هو النزاع الوحيد الذي يهدد الأمن والسلم في الشرق الأوسط الموسع، فإنه أخطر وأقدم هذه النزاعات، ولذا فإن الاستراتيجية الأطلسية لدفع التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط يجب أن تتضمن الأهداف التالية من أجل إيجاد بيئة إقليمية مواتية:

أولاً: إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية، وإذا تطلبت مخاوف إسرائيل الأمنية أكثر من نزع سلاح هذه الدولة، ودعم قدرتها على مكافحة المنظمات الإرهابية، فيجب ألا تتردد دول حلف الأطلسي في إرسال قوات حفظ سلام من جانبها إلى هناك، كما يمكن وضع هذه الدولة تحت وصاية الأمم المتحدة فترة تكفي لتبديد المخاوف الإسرائيلية.

ثانياً: إنجاز التحول الديمقراطي بأسرع ما يمكن وعلى أكمل الوجوه المتاحة في أفغانستان والعراق لأن الفشل هنا أو هناك سيكيل ضربة قاضية للقوى الديمقراطية في بقية الشرق الأوسط الكبير أو الموسع.

ثالثاً: إعطاء أولوية مطلقة لدعم التحول الديمقراطي في إيران بوصفها ناضجة لمشغل هذا التحول.

رابعاً: مزيد من التعاون الأوروأمريكي لدمج تركيا في القيم والنظم الغربية. ومن ثم يجب عدم إبقائها خارج عضوية الاتحاد الأوروبي، فتركيا تقدم من ناحية نموذجاً على إمكان تعايش الإسلام مع الديمقراطية، وفي الوقت نفسه محط أنظار الجميع في الشرق

الأوسط كمقياس لمدى جدية الغرب في قبول الآخر المسلم.

خامساً: عدم الاكتفاء بانتقاد الأوضاع غير الديمقراطية في الدول غير الصديقة للغرب أو للولايات المتحدة على وجه الخصوص مثل إيران وسوريا، وإنما يجب التركيز بنفس القدر على حلفاء الغرب وأمريكا.

سادساً: إقامة منظمة للأمن والتعاون في المنطقة تبنى خيرة مؤتمر هلسنكي في إجراءات بناء الثقة والأمن الجماعي.

المقصود بإعادة تنظيم الصف الغربي في التعامل مع الشرق الأوسط الموسع كركن ثالث وأخيراً في الاستراتيجية الأطلنطية لدفع التحول الديمقراطي في المنطقة، هو إيجاد مؤسسات وكوادر وأدوات للعمل كمهمة أساس وحيدة لإنجاز ذلك التحول، فما يفعله الغرب حالياً هو الدفاع ضد الإرهاب، وعند الحديث عن الديمقراطية بوصفها الهجوم الذي هو أفضل وسيلة للدفاع في مواجهة الإرهاب، لا نجد أفكاراً ولا استراتيجيات خلاقة، وما يحتاجه الغرب حالياً هو إعادة تنظيم صفوفه في ثلاثة مجالات أساس هي:

أولاً: تطوير المعرفة بالمنطقة من خلال إيجاد جيل جديد من مؤسسات البحث والباحثين المختصين بالمنطقة.

ثانياً: إعادة هيكلة المؤسسات الحكومية الأورو- أمريكية المعنية بالشرق الأوسط، فكما سبق القول لا تكفي وزارات الخارجية ولا السفارات لإنجاز التحول المطلوب، وإنما ينبغي إنشاء مؤسسات حكومية على المستوى الوزاري يكون مبرر وجودها هو دفع التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط.

فإذا قامت وزارة أمريكية تحت مسمى وزارة الديمقراطية في الشرق الأوسط، وكذلك إذا استحدثت مفوضية أوروبية للديمقراطية في الشرق الأوسط فسوف تكتسب العملية قوة دفع كبيرة، وسوف يحظى المسؤولون المباشرون بالهبة السياسية الكافية.

والجانب الثالث المطلوب إعادة تنظيم الصف الغربي فيه فيما يتعلق بالتعامل مع الشرق الأوسط هو إعادة صياغة المشاركة الأورو- أمريكية في المنطقة بشكل محدد ومعلن وملزم حتى لا توجد مسافة بين شطري الأطلنطي تتحرك فيها القوى المضادة للتحول الديمقراطي في المنطقة، وحتى يمكن رفع الحرج عن القوى المحلية المدافعة عن الدور الغربي

في إنجاز التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط" (١٦٤) .

ويحاول الدكتور حمدى زقزوق تحليل أسباب ضياع الثقة بين الغرب وبين العرب المسلمين فيقول (١٦٥) :

"إننا لا نستطيع أن نقول إن هذه الثقة قد انهارت تماما بين الجانبين، ولم يعد لها وجود، ولكننا لا ننكر أنها قد اهتزت بصورة واضحة، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة يرجع بعضها إلى أسباب تاريخية قديمة ويرجع بعضها الآخر إلى ظروف وعوامل حديثة، ويمكن تلخيص أهم هذه الأسباب والعوامل في النقاط التالية:

١ . الفتح العربي للأندلس على الرغم من أن هذا الفتح قد جاء معه بتأثيرات حضارية بالغة الأهمية لأوروبا ساعدتها في مسيرتها في الانتقال من العصر الوسيط إلى عصر النهضة والعصر الحديث.

٢ . الحروب الصليبية وما صحبها من تخريب وتقتيل ونهب وسلب.

٣ . الغزو العثماني للبلقان وحصار العاصمة النمساوية فيينا.

٤ . الغزو الاستعماري لبلاد العالم الإسلامي في العصر الحديث من جانب كل من إنجلترا وفرنسا على وجه الخصوص وبعض البلاد الأوروبية الأخرى.

٥ . الوعد الإنجليزي لليهود عام ١٩١٧ م بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين على حساب سكانها الفلسطينيين الذين لا يزالون مشردين في مختلف دول العالم ومحرومين من أبسط حقوق الإنسان.

٦ . التحيز التام لإسرائيل في صراعها مع العرب بصفة عامة والفلسطينيين بصفة خاصة منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن.

(١٦٤) عبد العظيم حماد - استراتيجية أطلنطية من ثلاثة أركان للديمقراطية في الشرق الأوسط - جريدة الأهرام بتاريخ ١٤-٧-٢٠٠٤م.

(١٦٥) د. محمود حمدى زقزوق - إعادة بناء الثقة بين العالم الإسلامي والغرب - جريدة الأهرام بتاريخ ٢١-٨-٢٠٠٤م.

٧. الحرب على العراق، تلك الحرب التي تجاوزت الشرعية الدولية وتجاهلت الأعراف المرعية والمواثيق الدولية، وبنيت على مجموعة من المزاعم التي ثبت عدم صحتها، وتبين أن هدف هذه الحرب هو الهيمنة والسيطرة على بتروال العراق من ناحية، وحماية إسرائيل من ناحية أخرى.

٨. الترويج في الإعلام الغربي للربط بين الإسلام والإرهاب:

من الملاحظ بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ أن هناك اتجاها قويا في الغرب يربط بين الإسلام والإرهاب، وحقيقة الأمر أن الإرهاب موجود في كل الحضارات، وأنه أصبح ظاهرة عالمية، ولم يكن في يوم من الأيام صناعة إسلامية.

إن الإسلام موجود منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، وكما أن الأديان الأخرى غير مسئولة عن أى إرهاب يقوم به بعض أتباعها، فكذلك الإسلام غير مسئول عن أى عمل إرهابي يقوم به بعض المسلمين حتى وإن رفعوا أيضا شعارات إسلامية.

إن الإرهاب لم يكن في السابق، ولن يكون في المستقبل أيضا سمة مميزة للإسلام تميزه عن غيره من الأديان، لقد برهن الإسلام دائما على قدرته على السلام، ليس فقط خلال القرون العديدة التي شهدت عصر الإزدهار الحضارى للمسلمين، بل وفي كل عصور التاريخ الإسلامى، وقدمت الحضارة الإسلامية في الأندلس نموذجا يحتذى به للتعايش الإيجابي بين أتباع ديانات التوحيد الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية، وذلك على النقيض مما فعله الاستعمار الغربى في العصر الحديث من تخريب وتدمير وسلب ونهب لثروات بلاد المسلمين، وتطبيق لسياسة " فرق تسد" لضمان استمرار بقائه في احتلال تلك البلاد.

وهناك جانب آخر، يتصل بموضوع الإرهاب، وهو الخلط الواضح في التصورات الغربية بين الإرهاب وحق الشعوب المظلومة في الدفاع عن حقوقها المشروعة، وهذا حق تكفله القوانين الدولية.

وانطلاقا من هذا الخلط الغريب أصبح ينظر إلى الضحية على أنه إرهابي - كما هو الحال مع الشعب الفلسطينى - وينظر إلى إرهاب الدولة - كما هي حالة إسرائيل - على أنه دفاع عن النفس، وفضلا عن ذلك فإن الحرب على الإرهاب يساء استغلالها:

وتتخذ ستارا لتخويف شعوب العالم من هذا الخطر المدمر للعالم كله إلى ضياع الثقة بين العالم الإسلامي والغرب، ولكن العالم الإسلامي من جانب آخر يدرك تماما أنه لا يجوز تحميل الغرب ككل مسؤولية هذه الظروف جميعها، فهناك دول غربية لها وجهات نظر مختلفة ومواقف معارضة لبعض هذه السياسات الغربية إزاء العالم الإسلامي، والحرب على العراق أقرب مثال على ذلك.

ومن هنا يمكن القول، بأنه إذا كانت الثقة بين الجانبين قد تصدعت على نحو مخيف فإنه لم يتم القضاء عليها نهائيا، والدليل على ذلك استمرار التواصل الثقافي بين العالم الإسلامي والغرب والحوار الدائر بينهما في مجالات عديدة، الأمر الذي يجعل استعادة الثقة بين الجانبين أمراً غير مستحيل".

وقبل أن نختم الحديث حول هذه النقطة ينبغي أن ندرك أن هذه النماذج التي ذكرناها والشهود الذين استوعبنا شهاداتهم لا تكتمل بغير إدراك التطور التكنولوجي للإعلام المعاصر، فهذه الزاوية تمثل بوابة واسعة لدخول الدعوة الإسلامية إلى عوالم كانت مغلقة، وفي ولوج هذه البوابة الواسعة الجديدة، فليتنافس المتنافسون بقدر من التنسيق والتنظيم والمثابرة. وهذا هو السهل الممتنع.

المحور الثاني تجميع الجزر المتفرقة

إن ما يصدق على أهداف أعداء الأمة العربية والإسلامية يصدق على أهداف الدعوة والإعلام.

تهدف خطط الأعداء في عالمنا المعاصر إلى تفكيك الأمة العربية والإسلامية، وإحباط هذه المؤامرة لا يتم إلا بالتضامن والترابط والوحدة. كذلك واقعنا في الدعوة والإعلام الإسلامي.

إننا نملك جزرا كثيرة متفرقة تقوم بهذا العمل فإذا أمكن ربط هذه الجزر وإمدادها بالقوة والرسالة الحديثة المعاصرة لتحقيق النجاح الكبير.

يقول فاروق جويده (١٦٦) "إن أمريكا تريد من العرب أولا أن ينسوا شيئا اسمه اللغة العربية تلك التي تجمع ٣٠٠ مليون عربي على كتاب واحد وفيلم واحد وأغنية واحدة وقصيدة شعر واحدة.. وهي تريد من أمة العرب أن تلغي قواعد الجغرافيا وتنسى أنها تعيش في منطقة واحدة تحكمها ظروف مناخية متشابهة.. وأن تقطع كل جسور التواصل بين هذه الأمة بحيث تتحول إلى جزر صغيرة أو بقايا دويلات.. ولا مانع هنا من أن يصبح العراق خمس دول.. السودان ثلاثا وأن تكون في الجزائر والمغرب أو مصر أكثر من دولة... ومن هذا التقسيم الذي لن يبقى منه غير بعض الشراذم التي تحمل أسماء دول لن تكون في المنطقة دولة أكبر من عصابة تل أبيب.

وهي تريد من العرب أن ينسوا التاريخ تماما؛ لأن تاريخهم مجموعة من قصص الإرهاب والقتل وأن يقطعوا كل صلة لهم بالماضي، فالقبيلة العربية عار أمام الحضارة الحديثة ونظام الأسرة تخلف مرفوض والأنساب لا قيمة لها في عالم لا يعترف بالبنوة ولا يؤمن إلا باللقطاء... وإذا نسي العرب اللغة والثقافة والتاريخ والأنساب فعليهم بعد ذلك أن ينسوا ديننا يؤمنون به اسمه الإسلام.. ومع نسيان الهوية الثقافية والحضارية يحكر أن تسقط العقائد وتتهوى قدسية الأديان... وهنا يمكن أن يأتي الدور على ما يسمى

(١٦٦) فاروق جويده - المؤامرة الكبرى - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧-٢-٢٠٠٤م.

الأمة الإسلامية، هذه الأمة التي تضم الآن ثلث سكان الكرة الأرضية يتوجهون خمس مرات كل يوم تجاه الكعبة الشريفة في صلواتهم.. ويقرؤون القرآن بلغة واحدة.. ويجعون كل عام ويطوفون في أماكن واحدة.. وتجمعهم شعائر وطقوس تبدأ بالصيام وتنتهي بتحريم الخمر والقمار والربا. ولهم تاريخ ثقافي وحضاري عريق يبدأ برسول الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي يقول عنه الخالق سبحانه وتعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) وينتهي عند العلماء الذين كرمهم الله وجعلهم ورثة الأنبياء. هذه الأمة الإسلامية التي قدمت للحضارة الإنسانية مجموعة من أنقى وأعظم رموزها في الاجتماع والفلسفة والرياضيات والفلك والعلوم والطب والتربية والفنون والعسكرية والفيزياء والعمارة، وعشرات المجالات الأخرى التي ما زالت شاهدة على هذه الأمة العظيمة.. إنها أمة لها تاريخ، والمطلوب الآن شعوب ودول بلا تاريخ؛ لأن رأس العالم وقوته العظمى دولة بلا تاريخ... وإذا سقطت أمة الإسلام كما تريد لها أمة الشيطان فسوف تنهار كل أركان هذا الكيان العملاق الذي يسمى الأمة الإسلامية... وبرغم كل الأمراض التي تعانيها هذه الأمة فإنها ما زالت حتى الآن تحافظ على جذورها.. ما زالت لديها شرائع سماوية... وقرآن عظيم... وتاريخ حافل وما زالت حتى الآن قادرة على أن تقدم بديلاً إنسانياً تفتقد التجارب الإنسانية الأخرى إلى الكثير من أساسياته في الملوك والأخلاق والنظم الاجتماعية.

وماذا سيقى للعالمين العربي والإسلامي إذا ذابت كل هذه المقومات وتهاوت كل هذه الأسس؟! وهذا يعني أننا لسنا أمام معركة سياسية أو حضارية عابرة.. ولسنا أمام حملة مشبوهة تحمل في ظاهرها الحرب على الإرهاب، بينما هي في الحقيقة تسعى إلى تدمير أمة.. وإسقاط عقيدة."

والسؤال الجدير بالاهتمام هو: ما هي أهم مشاكل منظمات الدعوة والإعلام الإسلامي؟! إن مشاكل منظمات الدعوة والإعلام الإسلامي تنحصر فيما يلي:

أولاً: عدم التنسيق فيما بينها، وغيبة الخطة الشاملة والخطط التفصيلية في مختلف المجالات ولمختلف الوسائل، وفي رأيي، أن هذا يحلّه إنشاء مركز عالمي للإعلام بالإسلام وهو ما سنتحدث عنه بشئ من التفصيل في الخاتمة.

ثانياً: عدم التمويل. وهذه الظاهرة تمثل كارثة في الوعي، فكثيراً ما توصى المؤتمرات بتسديد الحكومات لأنصبتها في مثل تلك المنظمات ولكن دون جدوى، وما تقدمه الدول الغنية البترولية لا يمكن أن يقيم مشروعات دولية، ومن ناحية أخرى إذا اعتمدت منظمة إعلامية دولية على معونات دولة واحدة، فقدت صفتها الدولية، كذلك ينبغي عدم الإعتماد دائما على الدول الغنية البترولية فهذا يقود إلى أمور بغيضة، وينبغي أن تسدد كل دولة حصتها. ثم تكون المساعدات الإضافية من الدول البترولية الغنية مثل الدفعات القوية التي تجعل الطائرة تنطلق لتحلق فوق الأرض. كما ينبغي فتح مجالات متشعبة للتمويل تقوم على أسس إقتصادية مدروسة.

ثالثاً: ضرورة إحياء الأرض الموات أو زراعة الأرض البور. ونقصد بذلك الوحدات الصالحة للعمل الإعلامي الإسلامي في انجال الدولي، مثل إتحادات الطلبة في الخارج، والعمال المغتربين، ومثل أقسام كليات الإعلام في العربية والإسلامية. وهذه كلها نوافذ لمنظمات الإعلام الدولي وهي في الوقت نفسه روافد لها وشرابين تمددها بالخصب والنماء والتجدد.

رابعاً: ضرورة البعد عن الأغراض السياسية للحكومات وأهوائها، ويمثل هذا العائق أشد العوائق ضراوة في تعطيل العمل الإعلامي الإسلامي في انجال الدولي، فمن الطبيعي أن تكون هذه المواقع فوق الخلافات السياسية والمذهبية والمعهدية والقبلية، وأن يكون اختيار القائمين على هذا العمل وفق القاعدة الإسلامية البسيطة: الناس سواسية كأسنان المشط ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى. تلك القاعدة التي سنها الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تمثل قاعدة أساسية وجوهرية في الإسلام.

خامساً: ضرورة إعداد كوادر بصفة مستمرة، هذا بطبيعة الحال من أوليات العمل الإعلامي على النطاق الدولي، ولا شك أن العالم الإسلامي يملك من الخبرات والقدرات ما يكفي لبدء العمل إذا أحسن الاختيار ووضعت الشروط الموضوعية للاختيار، ولكن لا بد أن يكون إعداد الكوادر بصفة مستمرة، استعداداً للانطلاق العظيم. إنني أتصور مثلاً أن يقوم المركز الدولي للدعوة والإعلام الإسلامي - إذا قدر له

الإنشاء - أن يظل لعدة أعوام يجرى مسابقات بين المائة الأوائل في الشهادة الثانوية لكل بلدان العالم الإسلامي. ثم يتولى استكمال تعليمهم لإعدادهم في مجالات الدعوة والإعلام الإسلامي. وأن تغطي فرق منهم عشر سنوات أو عشرين سنة في تعلم لغة وفقهها. ثم يعودوا ليتولوا ترجمة جديدة لمعان القرآن بكل لغات العالم. هذا مجرد مثل بسيط نحتاج إلى عشرات غيره.

ويرتبط بهذا إنشاء بنوك المعلومات، ومراكز البحوث والدارسات، التي يمكن أيضا أن يتولى إنشاءها المركز الدولي للدعوة والإعلام الإسلامي إذا قدر له الإنشاء.

الإمكانات الإعلامية في الحج:

يتعلم الطفل المسلم أن بناء دينه يرتكز على خمسة أعمدة هي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا. ولأن الشهادة بالوحدانية ملازمة لحياة المسلم لذلك هي أشبه بنفسه. ولأن الصلاة خمس مرات على الأقل في كل يوم وليلة لذلك فهي أكثر من وجبات طعامه. ولأن الصوم شهر في كل عام يختلف فيه نظام معاشه فيظل ثلاثين يوماً يذكره ويتعمق فيه، ولأن الزكاة متنوعة وملاصقة لنمو الثروة لدى المسلم لذلك نجدها موضع تساؤل وحواره المستمر يبقى الحج مرة في العمر كله وفي أيام معدودة من العام كله، تبدأ قبل الوقوف بعرفة بيوم وتستمر لثلاثة أيام بعد يوم عرفة. ما قبلها استعداد، وما بعدها استكمال نقص أو انتظار الرحيل وفي مكان محدد لا يستبدل به مكان آخر.

لذلك كانت معرفة المسلم العادي بالتفاصيل الخاصة بالحج قليلة وسطحية، إذا قيست بمعرفته بالشهادة أو الصلاة أو الزكاة أو الصوم. ولكن المسلم عندما يبدأ مناسك الحج تشغله كله، وعندما يفرغ منها يكون قد ألم بما إلاما يجعلها محفورة في ذهنه تاما. والحج حجان. بضعة أيام كل عام قمرى ويسمى الحج الأكبر وله مناسك محدودة، ثم حج طوال الأيام الأخرى من العام وعلى مدار الليل والنهار، ويسمى العمرة أو الحج الأصغر. واللغة السائدة تقصر كلمة الحج على الحج الأكبر الذى يعرف بوقفة عرفات وبعيد الأضحى. ولا تستخدم للعمرة إلا لفظ العمرة. وللحج عند فقهاء المسلمين قواعد منها الحج مفردا، ومنها إقران الحج بالعمرة، ومنها التمتع في الحج. وهى مسائل فقهية

ترتبط بطريقة ذبح الذبائح في الحج، أو بموعد تغيير ملابس الإحرام بالملابس العادية. ولكن المناسك موحدة شديدة الترابط والإحكام. يبدأ الحاج حجه بصورة من صور التجرد من الدنيا. يرتدى ملابس الإحرام، وينخرط في سلسلة من المناسك تهمز روحه وبدنه وعقله ثم يعود وفق قواعد الفقه إلى الحياة الطبيعية تدريجياً، فبعد رمى الجمرات وقص الشعر أو حلقه يستطيع أن يرتدى الملابس العادية بعد ارتدائه أيما متعاقبة لملابس الإحرام ولكن لا يجوز له التمتع بزوجته، ولا يجوز لها التمتع بزوجهما. ثم بعد طواف الإفاضة يصبح ذلك لهما جائزاً.

أما العمرة فليس لها أيام متعاقبة وإنما فيها ساعات متعاقبة فإذا وصل المعتمر بملابس الإحرام إلى مكة، ثم توجه إلى الكعبة لطاق حولها، وسعى بين الصفا والمروة، ثم قص شعره أو حلقه يكون قد فرغ من كافة مناسك العمرة.

هذان الحجتان يمثلان من الوجهة الإعلامية مؤتمرا سنويا جامعاً، ولقاء مفتوحاً مستمراً على مدار العام. ومن هنا كان الترابط بين الحج والعمرة في الإمكانيات الإعلامية لكل منهما.

وإذا كان المسلمون اليوم لا يجيدون استثمار الإمكانيات الإعلامية في الحج فليس معنى ذلك خلو الحج من الإمكانيات الهائلة إعلامياً. إن أبسط القواعد في علوم الإعلام أو الاجتماع أو علم النفس تضع أمامنا كترًا من الإمكانيات الإعلامية فعلى سبيل المثال لو تأملنا إمكانية التأثير، نجد أن الحجاج عينة عقائدية ممتازة، ولو تأملنا الحالة الوجدانية لوجدنا حالة التهيؤ النفسى، ولو تأملنا التمثيل الفتوى والوطنى لوجدنا تمثيلًا دوليًا للمسلمين... وهكذا لا نكاد نحصى الفرص الإعلامية التي يتيحها الحاج ولكن هذه الفرص مثل مصادر المياه ومثل النبات ومثل مافي الأرض من كنوز تحتاج لكى تسوتى ثمارها أن يتدخل الإنسان بعقله ليخطط وبعزمه وجهده لينفذ. ماذا لو خصص كل موسم حج في هذا القرن الخامس عشر الهجرى لمشكلة إسلامية مثل عام المرأة وعام الطفل وعام المسنين وعام المعوقين تلك التى تنظمها الأمم المتحدة؟ ماذا لو أنشأنا في مكة المكرمة مركزاً دولياً للحضارة الإسلامية أضخم وأعمق وأكثر تقدماً من مركز " بوميبدو " الثقافى فى باريس. ماذا؟ آلاف الأفكار تمثل فى جوهرها السهل الممتنع والاقتراحات

التي يمكن أن يدلى بها المفكرون والباحثون المسلمون إذا وجد الجهاز الذي يجمع الأفكار والاقتراحات ويطلبها وينميتها ويسعى إلى مناقشتها ثم تنفيذها، وتبقى كلمة جديرة بالانتباه إليها والالتفات لها هي أن الحج لم يفرض للإعلام. وأن المسلم في أيام الحج مشغول تماماً بالمناسك وبالبدعاء. وكل ما يمكن الاستفادة به في موسم الحج عقب تأدية المناسك هو استثمار الإمكانيات المتاحة إعلامياً. ولقد خرجت رابطة العالم الإسلامي إلى الوجود عقب موسم من مواسم الحج. إن مثل الأعمال الإعلامية تدخل في باب المنافع التي نص القرآن الكريم عليها ضمن ما يشهده المسلمون من مزايا الحج. إن الإعلام ليس هدفاً مباشراً للحج ولكنه يدخل ضمن المنافع المتاحة من الحج.

ولقد وسعت لنا التكنولوجيا الحديثة في فرص ربط الجزر المتفرقة بشبكات الكمبيوتر توسعة لم تنتج لأجيال سابقة. وعلينا أن نبدأ خطواتنا الأولى.

المحور الثالث

كثير من التفعيل قليل من الإنشاء

لماذا نجح المصريون في تأميم قناة السويس (١٩٥٦) وإدارتها بأنفسهم، برغم انسحاب معظم المرشدين الأجانب، وزيادة الضغط على الإدارة الجديدة بزيادة عدد السفن العابرة؟ ولماذا فشلوا في إدارة مستشفى القصر العيني الذي يتبع جامعة القاهرة، أعرق جامعة حديثة في الوطن العربي؟

لقد طرح مضمون هذا السؤال الرئيس المصرى الراحل جمال عبد الناصر في إحدى خطبه منذ مايقرب من نصف قرن. وللإنصاف ليست هذه الظاهرة مصرية فحسب ولكنها ظاهرة عربية وإسلامية في الوقت نفسه، ولعل النجاح الباهر الذى حققته باكستان في صنع القنبلة النووية مثال على هذه الظاهرة، فإذا ما قورن هذا النجاح العظيم بخطط التنمية الباكستانية وقصورها عن اللحاق بالتمور الآسيوية مثلاً تبين الفارق الكبير. والإعلام العربى لا يكف عن كشف هذه الظاهرة وملاحظتها والتوجه الدائم للتخلص منها. ولقد بلغ الأمر بإطلاق الساخرين من الكتاب على العرب بأنهم ظاهرة كلامية.

لقد عقدت الدورة التاسعة والعشرون لوزراء الإعلام العرب ٢٠٠٤ فى أعقاب مؤتمر القمة الذى عقد فى تونس بعد تعسر وتأخير. وكان موضوع الإصلاح على جدول أعماله فماذا كان من شأن مؤتمر وزراء الإعلام؟

"أول مواجهة عملية على أرض الواقع لتطبيق قرارات قمة تونس العربية التى تبنت شعار التغيير والإصلاح فى مسيرة العمل العربى المشترك، كان المفروض أن تتجسد فى اجتماعات وزراء الاعلام العرب بتغيير الكثير من الموضوعات التقليدية التى يتضمنها جدول أعمال اجتماعاتهم وأولها تقويم سليم لمسيرة الإعلام العربى فى المرحلة المقبلة التى ستشهد الكثير من التغيرات الداخلية والخارجية، والمفروض أن يعكسها إعلام صادق بأساليب عمل مختلفة كثيراً عن الماضى والحاضر ولكننا فوجئنا بجدول أعمال لا يختلف كثيراً عن جدول أعمال الاجتماعات السابقة بعبارات إنشائية لدعم القدس والانتفاضة إلى آخر بنود جدول الأعمال الـ ٢٧، وكان من الطبيعى ألا يستغرق الاجتماع أكثر

من يوم واحد لكل من اجتماع وزراء الإعلام واجتماعهم مع وزراء الشباب والرياضة لبحث توحيد الخطط الإعلامية وحقوق البث.

هذه القضايا من الطبيعي ألا تتناسب مع ما يطمح إليه المواطن العربي من إعلامه ورياضته، الآمال كثيرة وفي مقدمتها غزو القنوات الفضائية الأجنبية للعالم العربي بلغته، والتي بدأت بقناة الحرية الأمريكية، وآخرها إعلان هيئة الإذاعة البريطانية (بي.بي.سى) إطلاق محطة تليفزيونية باللغة العربية موجهة لمنطقة الشرق الأوسط لمواجهة المحطات الفضائية العربية التي تثير سخط لندن واشنطن، وتم تقدير ميزانية سنوية لها تبدأ بـ ٢٨ مليون جنيه استرليني.

هذه الخطوات الإعلامية التي توأمت بمشروعات إصلاح الشرق الأوسط الأوسع، الذى بدأت أمريكا وحلفاؤها تنفيذه على أرض الواقع من خلال إنشاء محطات تليفزيونية وتمويل انشاء جرائد ومجلات بالمنطقة بدعم وتمويل خارجي. ألم يكن من الأجدر أن تناقشها اللجنة الدائمة للإعلام العربي وترفع دراسة لوزراء الإعلام لمناقشتها واتخاذ الخطوات العملية لمواجهة تنفيذ قراراتهم السابقة لإنشاء قناة فضائية عربية توجه للعالم العربي باللغات الحية واصطدمت بعدم الالتزام المادى من الدول لتدبير لفقات إنشائها، وهي للعلم متواضعة جدا بالمقارنة بميزانية الحرية والـ "بي.بي.سى"، وفي نفس الإطار قرر الوزراء وضع خطة للتحرك الإعلامى العربى بالخارج لمواجهة الحملات المضادة لما يسى للعرب والمسلمين، وللأسف أيضا تجمدت مع عدم توافر التمويل.

إذا كان الوضع كذلك بإصدار قرارات لا تنفذ ولا تتوافر لها الآلية لتنفيذها، وتأتى الاجتماعات التالية وما قرر لم ينفذ، ثم تطالب بالتغيير والتطوير الذى يفتقد بكل أسف توفير الإرادة العربية للتغيير ونجاحاً بإرادة الآخر تفرض علينا ونبحث عن رد الفعل لما يفعله التغيير المطلوب ولكن الأهم هو الفعل" (١٦٧) .

وعلى الجانب الآخر:

"جندت إسرائيل داليا راين لقيادة حملة علاقات عامة بهدف تبرير حكومة الوحدة الوطنية ونفى المسلك العنصرى عنها في مواجهة الانتفاضة، خصصت إسرائيل أكثر من عشرة ملايين دولار لتحديث العالم عن نفسها، واختارت بيريز عندما كان وزير الخارجية لشارون لكي يدافع ويرر أعمال وممارسات شارون، وقام باستئجار أربع شركات متخصصة في العلاقات العامة، حصلت كل منها على أربعة ملايين دولار لتلميع صورة شارون أمام رجل الشارع الأمريكى أثناء زيارة مجرم الحرب إلى واشنطن، أى أن إسرائيل خصصت ١٦ مليون دولار لتغطية زيارة واحدة لشارون إلى واشنطن استمرت خمسة أيام.

والمعنى المضمن في ذلك هو أن إسرائيل لم تركز إلى المعطيات التاريخية والثقافية التي تبرر تعاطف الغرب معها، ولم تعتبرها معطيات نهائية وقائمة يكفى الضغط على أزرارها لكي تؤدى وتضمن مهمة التعاطف الغربى مع إسرائيل، بل تتعامل مع المستجدات والعناصر الجديدة والمتغيرة وتنفق الأموال الطائلة رغم الأزمة الاقتصادية التي تعانيها من جراء الانتفاضة لتحقيق هذا الغرض في حين أنه على الصعيد العربى وعندما اجتمع وزراء الإعلام العرب وأدرجوا على جدول أعمالهم الدفاع عن عدالة القضية الفلسطينية، أسفر الاجتماع عن تخصيص مليون دولار للدور الإعلامى العربى. وهو مبلغ يغطى بالكاد أربع نشرات إعلانية على شاشات التليفزيون الأمريكية تستغرق كل منها نصف دقيقة! كما أن هذا المبلغ الصغير قد يقبل أو يرفض مقابل نشر صورة غلاف للموضوع الرئيس في مجلة مثل: "نيوزويك" الاسبوعية، وبالإضافة إلى ذلك استخدمت إسرائيل الفن والفنانين والنجوم من المغنين والراقصين ليقولوا للعالم إن إسرائيل فوق الشبهات! أثناء الحرب الفيتنامية الأمريكية تبرع كل مواطن فيتنامى بدولار واحد بغرض إعلام الأمريكين بمحقات الوضع في فيتنام، واستخدمت الكاتب الأمريكى هارسون سالسبورى لكتابة مجموعة مقالات عن فيتنام في صحيفة نيويورك تايمز، كانت بداية حملة المناهضة للحرب في فيتنام، وقد نجحت هذه الحملة إلى حد أنها دفعت دين راسك وزير الخارجية الأمريكية آنذاك إلى إرسال رسالة لرئيس تحرير نيويورك تايمز يقول له فيها إن مجلته أصبحت هانوى تايمز أما اجتماع وزراء الإعلام العرب المشار إليه فقد أفضى كما سبق

إلى تخصيص مليون دولار وتشكيل لجتين إحداهما موسعة من سبع دول تقوم بجولة لجمع ٢٠ مليون دولار وأخرى مصغرة للإشراف على اتفاق المبلغ، ولم نعرف حتى الآن ما هو مصر هذه الخطة المتواضعة للغاية!

يمثل المال أحد العناصر المهمة في هذا السياق أى سياق التأثير على الراى العام الغربى — ولكنه ليس العنصر الوحيد فهناك بالإضافة إليه عنصر الكفاءات والخبرات والإدارة والتنظيم حتى يمكن تشكيل كتلة متجانسة ومؤثرة، وفى تقديرى أن أية خطة للتأثير فى الراى العام الغربى يمكنها أن تستند إلى بعض العناصر الضرورية للنجاح فى هذا المضمار" (١٦٨)

وكذلك على الجانب الآخر نرى صور البحث والتنقيب والتمحيص فلمدة تسعة أشهر متصلة قبل القمة الأخيرة لحلف الأطنطى فى اسطنبول عكفت مجموعة من السياسيين والخبراء الاستراتيجيين بمبادرة من صندوق مارشال الأمانى — على وضع استراتيجية شاملة لدفع التحول الديمقراطى فى الشرق الأوسط الموسع، وبما أن هذه الاستراتيجية وضعت كخطة عمل للولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبى — وليس لحكومات الشرق الأوسط — فإنها قدمت رسمياً إلى قمة اسطنبول الأطنطية التى تبنت معظم ما جاء فيها، تكونت المجموعة من ١٩ عضواً من الولايات المتحدة والدول الأوروبية وتركيا، وتعاونت المؤسسة التركية للمدارسات الاقتصادية والاجتماعية مع الصندوق الألمانى فى المشروع الذى اختير له مستشاران هما الدكتور معنى تصور كبير الباحثين بمدرسة السياسات العامة بجامعة جورج ماسون الأمريكية، والبروفسور اريك شيفالين أستاذ العلوم السياسية بجامعة السوربون الفرنسية.

هذان النموذجان يظهران لنا صورة من صور التفعيل الذى نسعى إليه. ولكن ذلك مايزال فى حدود الأمانى.

لفى المجال الثقافى العربى لا تكاد الصورة تختلف كثيراً عن مثيلتها فى المجال الإعلامى.

(١٦٨) د. عبد العليم محمد — القضية الفلسطينية والإعلام العربى — جريدة الأهرام بتاريخ ١٩-٩-

"كان وزراء الثقافة العرب قد أصدروا قرارا في شهر ديسمبر من العام ٢٠٠٢ أثناء اجتماعهم في تونس بالموافقة على أن يكون العالم العربي هو محور معرض فرانكفورت الدولي للكتاب لعام ٢٠٠٤ ونوقش هذا الموضوع بعد ذلك في اجتماعات وزراء الخارجية العرب في القاهرة في مارس الماضي، ثم مرة أخرى في اجتماع وزراء الإعلام العرب... ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد من المناقشات، بل أعيدت مناقشته للمرة الرابعة أو الخامسة في اجتماع مشترك لوزراء الثقافة والإعلام العرب في القاهرة في يونيو الماضي... كل ذلك للاتفاق على كيفية العمل على أن تكون هذه المشاركة في واحد من أهم المحافل الثقافية في العالم مشاركة فعالة ومجدية. وكانت النتيجة أن وافق الجميع على تخصيص ميزانية مستقلة قدرها ثلاثة ملايين دولار تسهم كل دولة عربية فيها بحسب نصيبها من ميزانية الجامعة.. للإعداد للمعرض ومن الواضح أن المناقشات قد أثرت ثم أسفرت عن اقتناع بأن مثل هذا المعرض الدولي للكتاب يمكن أن يكون فرصة فريدة لإبراز الدور الحضاري للفكر والثقافة العربية بما يدفع عن الشعوب العربية همّة التخلف والانعزال عن مجرى التقدم العالمي، ويبض وجه العرب مما علق به من ظلال وتشويه جعلته قربنا للإرهاب والطفيان وغياب الحريات وحقوق الانسان. وعلى الرغم من أن هذه الفكرة التي نبتت من اقتراح للدكتور غسان سلامة وزير الثقافة اللبناني آنذاك في إطار مناقشات احتضنها الأمين العام للجامعة العربية عن حوار الحضارات في سبتمبر ٢٠٠١، إلا أن إنضاج أية فكرة على النار المادئة والحافنة للسياسات العربية. كان لا بد أن يستغرق كل هذا الوقت حتى تم التوقيع أخيرا بين الجامعة العربية وإدارة المعرض قبل عدة أسابيع فقط أي في أغسطس الماضي وأوكل إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مهمة التنسيق والإعداد والتنفيذ للمشاركة العربية في فرانكفورت برئاسة الدكتور المنجي أبو ستينة وأخيراً وجد العرب أنفسهم ضيف الشرف والمحور الرئيس للمعرض وهم على بعد عام واحد فقط من أكتوبر ٢٠٠٤، ومازالوا عاجزين عن تدبير الميزانية اللازمة - ثلاثة ملايين دولار- ليقدموا من خلالها لجمهور أوروبا عريض وعلى اتساع ٩٠٠ متر مربع مجانا ما يريدون تقديمه من أنشطة حضارية وفنية وثقافية وفكرية، فضلا عما لديهم من كتب ومطبوعات، وليقولوا للعالم هاؤم اقرأ كتابية.. نحن لسنا

كما تروجون وتظنون مجرد فقاقيع بترولية ظهرت على السطح وسرعان ما تختفى!!

دولتان فقط السعودية بالكامل ومصر جزئيا قدمتا نصيهما. من الميزانية المقترحة أما بقية الدول الأعضاء في الجامعة فإن بعضها مازال يثائب، والبعض الآخر مازال يغط في النوم، والبعض الثالث لا يرى فائدة من أى شى... بينما كانت دول أخرى تتسابق لتكون هي محور المعرض بعد روسيا هذا العام بميزانية خمسة ملايين دولار واليابان قبلها بميزانية ٢٠ مليون دولار. فهل ينتهز العرب هذه الفرصة أم يشاركون في إجهاضها كالعادة! (١٦٩)

وفي مجال الإصلاح ومحاولة تغيير الصورة المشوهة التي يرسمها الإعلام الغربي للدول العربية بشأن حقوق الإنسان نجد خطى السلفاء في عالم متسارع الخطى.

يكتب سلامة أحمد سلامة (١٧٠): " نبدأ من حيث توقفنا عن الحديث عما نتوقعه لحقوق الإنسان فقد جاءتني الرسالة التالية من الأستاذ بهي الدين حسن مدير مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان وعضو المجلس القومي يعتبر فيها أنني أسرفت في التفاؤل ويقول: تمنيت أن يكون لي ١٠% من روح التفاؤل التي عبرتم عنها حتى إنكم توقعتم أن يقوم المجلس بمراقبة انتخابات مجلس الشورى في يونيو المقبل. وسألت نفسي: وهل سيكون المجلس قد اجتمع قبل ذلك التاريخ؟ ووجد مقرا يدير منه عمله؟ وعين موظفيه وأمينه العام؟ ووضع لائحته الداخلية؟ ووزع المسئوليات بين أعضائه؟ وشكل لجنة الست المتخصصة؟ وهل ستوافر له الموارد المالية اللازمة لذلك كله قبل بدء السنة المالية الجديدة للدولة؟ قد أبدو متشائما أو مبالغاً في مسائل إدارية تبدو بسيطة ولكن خلف تلك التفاصيل يكمن الشيطان " وفق حكمة معروفة " وهو في حالته تردد السياسة الكامنة خلف قرار الإصلاح.

(١٦٩) سلامة أحمد سلامة - العرب ضيف شرف - جريدة الأهرام بتاريخ ٩-٩-٢٠٠٣م.

(١٧٠) سلامة أحمد سلامة - إفراط في التفاؤل - جريدة الأهرام بتاريخ ٧-٢-٢٠٠٤م.

لقد ضاع علينا أكثر من ثلاث سنوات (من ٢٣ إبريل ٢٠٠٠ تاريخ المسودة الأولى للقانون حتى صدوره في ١٩ يونيو ٢٠٠٣) لكي تقبل الحكومة بسلطة المجلس في تلقي الشكاوى؟ ثم سبعة أشهر إضافية لتشكيل المجلس؟ فكم تحتاج من الوقت لكي تفصل في الشكاوى التي سيحولها المجلس إليها، أو تسمح بمراقبة انتخابات مجلس الشورى الذى يتبعه المجلس؟ اكتب إليكم بعد عشرة أيام (١/٢٩) من صدور قرار التشكيل وحتى الآن لم يتصل أحد بأعضاء المجلس أحد والذين لم يسبق استشارتهم قبل التعيين أو بعده وعرفوا بالقرار من وسائل الإعلام مثلما عرفوا أيضا أنهم قد يدعون للاجتماع بعد العيد؟ أليس من الضروري للمجلس أن تصان كرامة أعضائه أولا حتى نطمح في الاضطلاع بحماية كرامة وآدمية بقية المصريين؟.

المعنى المؤكد الوحيد حتى الآن من إنشاء المجلس هو أن الدولة تفكر بالإصلاح، أما قرار السير في القيام بالإصلاح ذاته فليس هناك أى مؤشر جدى عليه بعد، بل هناك مناخ ومعادلات سياسية راسخة تكاد تغلق أى تحرك في هذا الاتجاه.

وفي هذا الإطار يصعب توقع أن يستطيع المجلس تلبية ولو جزء يسير من توقعاتكم، ما لم يتعامل المجتمع المصرى مع مهمة تفعيل هذا المجلس باعتبارها قضية مصرية، ليس فقط فيما يتعلق بحقوق الإنسان ولكن كمدخل حيوى لقضية تقدم وقضية مصر. ولكى يستطيع المجلس الوفاء بالحد الأدنى من دوره فإن هذا قد يتطلب تحركا في اتجاهين:

الأول: أن يشتبك المجتمع كله مع المجلس بطريقة إيجابية، أى أن تعتبر الأحزاب والنقابات بما في ذلك نادى القضاة ومنظمات المجتمع المدني الأخرى خاصة حقوق الإنسان أولوية خاصة في جدول أعمالها بتقديم التقارير والمعلومات والمطالب والعرائض من ناحية، ومن ناحية أخرى بوضع المجلس موضع النقد الدائم إذا لم يتفاعل مع توقعاتنا بشكل مقنع. وحسنا فعلت منظمات حقوق الإنسان باتفاقها على إنشاء مرصد للتعاون مع المجلس ومراقبة أدائه لوظائفه وإبلاغ الرأى العام بذلك التقييم أولا بأول.

الثاني: أن يمنح رئيس الدولة أولوية خاصة في جدول أعماله لهذا المجلس، خاصة في العام الأول التأسيسى، الذى سيم خلاله إنشاء القنوات وإرساء التقاليد بينه وبين

مؤسسات الدولة الأخرى خاصة الحكومة والبرلمان. وأن يتأكد الرئيس من تعاون كل الهيئات والوزارات ذات الصلة مع المجلس في كل ما يطلب من معلومات وما يصدر عنه من توصيات واقتراحات.

وأخيراً، قد أبدوا مفرطاً في التشاؤم؛ ولذا فإنني اقترح عليكم أن تحتفظوا بالرسالة وتعيدون قراءتها بعد عام، أى في يناير ٢٠٠٥.

وإلى جانب ذلك كله وفوق ذلك كله بل وقبل ذلك كله يواجهه كل ظروف التخلف والتقهقر الحضارى. وسوف نعرض شهادة أربعة شهود تبين شهادتهم نموذجاً عن ماذا؟ وكيف؟ يواجه الإعلام الإسلامى على الساحة الدولية. وتقدم لنا صورة من الواقع المعاصر.

يروى الدكتور محمد الموارى (١٧١) عضو هيئة التدريس بجامعة دمشق وأول رئيس لاتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا أنه في أوائل عام ١٩٦١م كان يودع زميلاً له في محطة القطار في مدينة "بروكسل" في بلجيكا، فيقول: " بينما نحن في انتظار موعد القطار إذا بنا نشاهد على الرصيف المقابل قطارا احتشد فيه عدد كبير من الأطفال، وعلى الرصيف جمع وفير من الأشخاص يودعونهم، وبينهم عدد لا بأس به من الرهبان والراهبات. لفت نظرنا هذا المشهد العجيب. وأردنا استطلاع الأمر فذهبنا إلى الرصيف، وتبين لنا هناك أن الأطفال هم أبناء من عائلات إسلامية تعمل في شمالي فرنسا في عدد من المعامل والمناجم ضمن شروط معاشية سيئة ووضيعة، ويعانى أبناؤها نقصاً كبيراً في التغذية والرعاية والصحة. وتبتهت لهذا الأمر جمعيات تبشيرية تعمل في فرنسا وبلجيكا، فأرسلت أفراداً منها للاتصال بهذه العائلات وإقناعها بضرورة إرسال أولادها إلى بيوتات نصرانية تستقبلهم وتعنى بتغذيتهم وتقديم لهم الرعاية والعناية وكل وسائل التسلية والترفيه خلال فترة الصيف، إلى ما هنالك من الأمور التي تترك أكبر الأثر في نفوسهم. وكان الأمر كذلك.

(١٧١) الإعلام الإسلامى والعلاقات الإنسانية - أبحاث ووقائع اللقاء الثالث لمنطقة الندوة العالمية للشباب الإسلامى الرياض - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م. ص ٧٥.

لقد شاهدت بعيني هؤلاء الأطفال في أحسن حلة من اللباس وأجمل منظر من الطلعة وفي أيديهم الهدايا والحلوى ولذائد الطعام. واغرورقت الدموع في عيون كثير منهم أسفا على الفراق، فقد كانت الإقامة مؤثرة في حياتهم وفعلت فيهم فعلتها، ووصلت إلى غايتها المنشودة، حتى أن هذا المنظر (الإنساني الأليم) أثر في نفوس بعض المودعين فلوحوا بأيديهم وأعينهم تفيض من الدمع. ووقفت جانبا مع صديقي نبكى هذه الحالة التي وصل إليها المسلمون، حتى أصبحوا لقمة سائغة وفريسة ضعيفة لكل من يترصص بهم الدوائر. ونبكى على حال هذه الجماعة البيضاء هنا التي تتمثل هؤلاء الأطفال المساكين الموجودين في حالة نفسية صعبة ومستعدة لتقبل جميع ما يقدم إليها من أفكار وتأثيرات نفسية. والهدف النفسى هنا هو التأثير على معنوياتهم، وازدراء الحياة البائسة الأليمة التي كانوا يعيشونها بين أهليهم، وبالتالي حضهم على المقارنة اللاشعورية بين معيشتهم في البيئة الإسلامية المختلفة، وبين ما قدمته لهم العائلات النصرانية التي أقاموا لديها، من عطف ومحبة وعناية من كل الوجوه، والمهمة النفسية: هنا هي الوصول إلى الهدف النفسى عن طريق إثارة القلق لدى هؤلاء الأفراد، ووضعهم في حالة نفسية يختارون بموجبها بين حياة بائسة ومستقبل ملؤه الأمل والازدهار. وأسلوب العمل النفسى: يتجلى في محاولة استقطاب أفكارهم نحو حياتهم البائسة الراهنة، وتذكيرهم بالمستقبل الأسود إذا ما استمروا فيه، وإثارة اهتمامهم بما لاقره من حسن الضيافة والإكرام، وربط ذلك بالعاطفة الإنسانية النصرانية التي تنبعت لبؤسهم وقدمت لهم كل عون. أما النداء فيتجلى بالمحاورات والقصص والأحاديث العاطفية، التي كانت تنلى عليهم خلال إقامتهم الطويلة في هذه البيوتات، التي ترمى للتأثير على مشاعرهم وعواطفهم، بغرض تحقيق الهدف النفسى وإخراجهم عن دينهم إن استطاعوا".

ويروى الشيخ على عبد الرحمن الأمين (١٧٢) السوداني وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر قصة أخرى فيقول: "أرجو أن أقص على حضراتكم واقعة، تدلكم

(١٧٢) الدعوة إلى الإسلام - المزمع السابع لمجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ص ١٤٤،

على حيل المبشرين ومكرهم، فقد أردت أثناء مروري في بحر الغزال: أن أزور مركز راجا، وهو مركز تسكنه قبيلة مسلمة ضمن سكانه الوثنيين والمسيحيين، وبالمركز كنيسة كبيرة، حاولت إنشاء مدرسة في مدينة "حور شام" عاصمة القبيلة المسلمة، فعارض عمدة القبيلة ونشبت بينه وبين القسيس محاورة حادة، فتدخل مفتش المركز مؤيدا للقسيس، ويحاول الضغط على العمدة، لقبول مدرسة الكنيسة بين قومه المسلمين، ولما أصر العمدة نفاه المفتش، وبموافقة الحكومة المركزية بالخرطوم، إلى مديرية دارفور، وعين أخاه بدله، فأدعن الأخ لأوامر المفتش ورغبة القسيس، وبعد أن تعهدوا له بأنهم لا يعلمون الدين المسيحي، وكانت المدرسة يؤمها عدد كبير من أبناء المسلمين، فلما أخبرت مدير بحر الغزال: بأني سأزور راجا، قال لي: إن راجا تبعد ٢٥ ميلا من واو، وتبعد مسافة أكثر من ذلك، من حدود دارفور، فلا وسيلة لتعليم أبنائها إلا بواسطة الإرسالية، وقد أذنت للإرسالية أن تفتح مدرسة بحور شام، لتعليم أولاد المسلمين التاريخ والجغرافيا والرياضة والصحة واللغة الإنجليزية، وحظرت بشدة أن يدخل في المدرسة أى درس ديني، فإذا وصلت راجا أرجو أن تزور المدرسة، لتقف على هذه الحقيقة، وتزيل الشكوك من أذهان بعض المتعصبين الذين يظنون أن مجرد تبعية المدرسة إداريا للإرسالية معناها التنصير، فوعدهت أن أزور المدرسة مصحوبا بالعمدة، وبعض كبار الوطنيين، وفعلا: تمت الزيارة التي استغرقت يوما دراسيا كاملا، حضرت أثناءه كل الحصص في كل أنواع الدروس، فذهبت كل الدهشة، لأن جدول الحصص خال من أية مادة دينية، ولكن الدروس كلها باستثناء الحساب: هي في الواقع دروس دينية مسيحية، فالتاريخ كله يتعلق برحلات المسيح والحواريين، وسير المسيحية، من قطر إلى آخر، والصحة كلها تتعلق بالشفاء ببركة المسيح ومسه للمصابين، وشفاء المرضى، بدعواته وصلواته، والجغرافيا كلها تتعلق بدراسة الرقعة المسيحية بوجه عام، ومنطقة فلسطين وسوريا والأردن والفاثيكان بوجه خاص، والمحفوظات عبارة عن ترتيل الكنيسة، وتمجيد المسيح ورسله، والإنجليزية عبارة عن مطالعة من الكتب المسيحية والقصص الدينية، ثم خرجنا من المدرسة، وذهبنا إلى الاستراحة وألفهت الجميع أن كل ما سمعته في المدرسة دروس دينية مسيحية، وأن الطالب حينما يستوعب هذه الدروس ويتخرج من المدرسة لا بد أن

يكون مسيحيا أو على الأقل مستعدا لاعتناق المسيحية، ولا أثر بالمدرسة للغة العربية، ولا الإسلام، مع أن الطلبة لغتهم العربية ودينهم الإسلام أو هكذا يعتقدون؛ لأن عربيتهم ركيكة مفككة أقرب إلى الرطانة؛ لأن إسلامهم إسمي، يتعصبون له ولا يعرفونه، واتفقت معهم على إحضار رجل يحفظ القرآن من أقرب منطقة وأن ينشئوا خلوة لتحفيظ القرآن.

الشهادة الثالثة يرويها أحمد بهاء الدين (١٧٣) فيقول " تقوم حركة إسلامية، دستورية، حزبية، في تركيا... فتصبح صحف الغرب: يا للكارثة! يا للرجعية! يا للخطر! ويرتفع صوت الكنيسة الكاثوليكية في بولندا... فتصبح صحف الغرب: ما أعظم اليقظة الكاثوليكية! إنما هي التي حفظت شخصية الشعب البولندي ألف سنة! (تاريخيا، هذا غير صحيح).

ولكنه خبث السياسة الدولية الذي يصبح أحيانا صارخا، وبلا خجل، ودون أي اهتمام بالتناقض المفضوح.

ويقول أحمد بهجت (١٧٤): " في مسلسل فرنسي اسمه (ميشيل استروجوف)، وفي حلقة يوم السبت ٣ أبريل ١٩٨٢، تم تسليم استروجوف للتار، وتشير أحداث الرواية إلى أنهم مسلمون، وأدانه أعداؤه وفكروا في عقابه، وأحضروا كتابا وفتحوا بطريقة عشوائية إحدى صفحاته، ووضع قائد التار أصبعه، دون أن ينظر، على أحد سطور الصفحة، وقرر فقاء عيني استروجوف. وتم تسخين سيخ حديدي على النار وفتقت عيناه وقائد التار يقول: هذا هو حكم كتابنا "القرآن". وتم هذا المشهد وسط جو من الرقص المستري، ووسط تعليقات ممن شاهدوا هذه العقوبة: ما هذه البربرية التي نراها.

وفي هذا المشهد إساءة إلى مشاعر المسلمين، كما أن فيه مغالطة تاريخية. فالتار في الأصل لم يكونوا مسلمين، وكانوا يرتكبون أفظع أنواع الجرائم خلال اجتياحهم للشعوب التي اجتاحتها، ولكنهم أسلموا في النهاية. فطويت صفحة جرائم آباؤهم وجاء

(١٧٣) أحمد بهاء الدين - جريدة الأهرام بتاريخ ٢-٢-١٩٨٢م.

(١٧٤) أحمد بهجت - استروجوف - جريدة الأهرام بتاريخ ٩-٤-١٩٨٢م.

الأبناء خلقا جديدا لا علاقة له بالبربرية، بل إن الإسلام كان سببا في هدوء موجة الغزو الترى وذوبان القوى العسكرية البربرية لهم وتحولهم إلى الحضارة وذوبانهم في غيرهم من الشعوب... وإلا فأين هم التار اليوم؟

هذه الأمثلة تبين لنا كيف يحيط بنا الإعلام المعادى للدعوة الإسلامية إحاطة السوار بالمعصم. فعلى أن يكون الفعل موازيا ومتسقا ومؤثرا. وهذه هي عناصر التفعيل.

بعد هذه المحاور التي ينبغي لنا أن نتمق في دلالاتها لتقوم خطتنا في الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي على بصيرة، لابد أن ندرك أن الواقعية تمثل الركيزة الأساس لنا في بناء خطتنا في الدعوة والإعلام.

وفي مجال الواقعية ينبغي أن ندرك تأثير التضليل الإعلامي الغربي على المستوى الشعبي والمستوى السياسي ففي أواخر عام ٢٠٠٣ نشرت الصحف الأمريكية نتائج الاستطلاع الذي أجراه أحد مراكز الأبحاث بالتعاون مع جامعة ميريلاند، ركز على المعتقدات الخاطئة التي انتشرت بين نسبة غير محدودة من الأمريكيين حول الحرب العراقية ومسئولية بعض وسائل الإعلام الأمريكي عن تغذية مثل هذه المعتقدات. فقد كشف الاستطلاع أن آراء تورط العراق بشكل مباشر في أحداث سبتمبر وامتلاك النظام العراقي السابق لأسلحة الدمار الشامل بل واستخدام القوات العراقية لمثل هذه الأسلحة خلال الحرب الأخيرة، تعد من المعتقدات الخاطئة والسائدة لدى نسبة غير قليلة من الشعب الأمريكي قد تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من ٥٠%.

والملاحظة الأهم هي أن هذه المعتقدات الخاطئة تنتشر بين فئات تتهم بمتابعة التغطية الإعلامية لأحداث الحرب عن كذب، بل وكلما ارتفعت معدلات متابعة الأفراد لأخبار الحرب عبر الوسائل الإعلامية المختلفة، زادت فرصة انتشار هذه المعتقدات الخاطئة، غالبية هذه المعتقدات كانت عبارة عن فرضيات وأهجمات طرحها الإدارة الأمريكية خلال المراحل التي سبقت وواكبت الحرب العراقية وإن ظل بعضها مثل اتهام العراق بامتلاك أسلحة دمار شامل مطروحا حتى الآن.

وفي حين لم تنجح واشنطن في إثبات أي من هذه الفرضيات. يبدو أن عددا غير قليل من الأمريكيين قد قرروا بمساعدة أجهزة الإعلام أن يتعامل مع هذه الاتهامات، على أنها

حقائق، في دليل جديد على أهمية الدور الذي لعبته الميديا الأمريكية في توجيه ردود فعل الرأى العام في الولايات المتحدة" (١٧٥) .

ويقول "نيوت جنجريتش" رئيس مجلس النواب في الكونجرس الأمريكى أبان حكم الرئيس "بيل كلينتون": " ليس الناس أغبياء ولكنهم غالبا ما يكونون جهلاء، وبسبب جهلهم يتقبلون المعلومات التى ينقلها إليهم صحفيون جهلاء، هؤلاء بدورهم يأخذون معلوماًهم من سياسيين جهلاء مثلهم... والنتيجة: أن سياسيا جاهلا يدلى بحديث جاهل، يلتقطه صحفى جاهل، ثم يعرض على شاشة التلفزيون في أربعين ثانية لخمهور جاهل".

هذه العبارات البسيطة الواضحة لا يصف جنجريتش شعبا من شعوب العالم الثالث وإنما يصف الجمهور الأمريكى العريض الذى يعتمد على وسائل الإعلام الخلى الهزىل كمصدر وحيد للمعلومات والمعرفة، وهى وسائل أكبر ههما النسبية والإعلانات المنيرة والأخبار ذات الطابع الخلى، ولا تعنى بتثقيف الناس أو تنويرهم، وهى بذلك تدعم حالة الجهل والسذاجة الساندين.

فإذا صح ما يقوله جنجريتش نكون أمام واقع خطير... لماذا؟ لأن هؤلاء الجهلاء السذج هم الذين ينتخبون أعضاء الكونجرس وينتخبون الرئيس الأمريكى الذى لم يعد يعتبر نفسه رئيسا للولايات المتحدة فحسب.. ومهما يكن الأمر فإن القرارات التى يصدرها الكونجرس وتصدرها مؤسسة الرئاسة لا يقتصر تأثيرها على الأمريكين فحسب وإنما تمتد ليشمل العالم بأسره. هذا إذن كلام يستحق منا كثيرا من التأمل بقدر ما يحتاج إلى وضعه على محك الواقع (١٧٦)

ومن الواقعية أيضا أن ندرك أسس الاختلاف الثقافى والعقائدى بيننا وبين الغرب وأن نشرح ذلك.

يقول مراد هوفمان: " طبقاً لقانون الولايات المتحدة فإن الذى ولد مواطناً أمريكياً لا يستطيع أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة لأنه ولد خارج الأراضى الأمريكية. وإذا

(١٧٥) سيرا الشرقاوى - الميديا الأمريكية - جريدة الأهرام بتاريخ ١٨-١-٢٠٠٤م.

(١٧٦) محمد يوسف عباس - مجلة الهلال - أكتوبر ٢٠٠٣

كانت هذه القاعدة لا تمثل انتهاكا لحقوق الإنسان، فإن من الواجب أيضا أن نقبل بشكل مماثل الاحتفاظ بمناصب معينة للمسلمين في الدولة الإسلامية".

وهذا يقودني إلى التعارض بين النظرية الغربية والشريعة الإسلامية في مجال مساواة المرأة. إذ ليس هناك من جدوى في إنكار أن الشريعة تقدم نموذجا مضادا (لنموذج الغربي) ينطلق من التقسيم الطبيعي لدور ووظيفة كل من الجنسين. وتأسيسا على ذلك فإن الشريعة تلتزم بمبدأ "أن المساواة في المعاملة لا تطبق إلا في الظروف والمواقف المتماثلة، وليس في الظروف والمواقف المختلفة". وفي كل الأحوال فإن الشريعة الإسلامية تحرص على صون كرامة المرأة، ومنع استغلال الرجل لبعض نقاط الضعف الأنثوية الكامنة في الاختلاف البيولوجي.

وهكذا جاءت الصيغة الإسلامية: المساواة في الكرامة مع اختلاف الأعباء، والمساواة في المترلة مع اختلاف الأدوار، والمساواة في القيمة مع اختلاف القدرات.

وليس هناك من طريقة موثوقة لقياس ما إذا كانت النساء الغربيات العاملات، كنتيجة لما يتمتعن به من تحرر أوسع، قد حققن مرادهن وسعادتهن أكثر من أخواتهن الشرقيات. هناك الكثيرون الذين يقولون بغير ذلك. وعلى أية حال فإن الشك يساورني في وجود نظام ليس بوسعها أن يضمن للمرأة "حياة كريمة"، إذ إن هذا الأمر يتوقف إلى حد كبير على سلوك الإنسان مع الآخرين ومع نفسه.

إن السعادة مناطها القلب.

ولكن هناك شيئا واحداً ينبغي للنقاد الغربيين احترامه، وهو: أن المسلمين يعتبرون أن الله (سبحانه وتعالى) هو صاحب القول الفصل فيما يتعلق بحقوق الإنسان، وأن هذا القول يوجد في القرآن" (١٧٧).

كذلك من الواقعية أن ننظر إلى حوادث التفجيرات داخل العالم الإسلام بعين حذرة. "فالقاسح الساخن الذي شهد العالم بداياته قبل عدة سنوات حول "صراع الحضارات"

(١٧٧) مراد ويلفريد هولمان - يوميات الماني مسلم (ترجمة عباس رشدي العمارة) - ط ١ - مركز الأهرام للترجمة والنشر - ١٩٩٣ - ص ٢١٤، ٢١٥.

"أوصدام الثقافات" لتفسير عمليات العنف التي قامت بها جماعات إسلامية متطرفة في الغرب، يوشك أن ينحسر الآن إلى "صراع إسلاميات" موجه إلى الداخل، أى إلى داخل الأمة الإسلامية نفسها... تحارب فيه جماعات إسلامية راديكالية متوترة نظما ذات صبغة إسلامية أو دولا تستند إلى الإسلام ولا تتخذ منه موقف العداء، وبعبارة أخرى فقد تحول الصراع إلى فتنة داخلية بين أنصار الإسلام المعتدل الذى يراعى موازين القوى والمتغيرات العالمية ولا يعادى الغرب، وبين دعاة التطرف والتغيير بالعنف الذين يعتقدون أن العالم الإسلامى يواجه عدوانا على العقيدة من الغرب الكافر، ولا بد من مقاومة هذا العدوان بالقوة وبكل الوسائل الممكنة أينما كان.

ويبدو أن الغرب قد نجح بالفعل في مطاردة هذه الجماعات المتطرفة من أوروبا وأمريكا وحصرها في محيطها الإسلامى، كما نجح في اختراقها وتوجيه أنشطتها التدميرية إلى المجتمعات الإسلامية التى تستوعبها وتحتضن بين أركانها، أى أن المشكلة أزيحت من الغرب إلى العالم الإسلامى لتضع المسلمين في مواجهة بعضهم البعض، ويجرى تصوير الوضع على أنه إسلام متخلف في مواجهة إسلام متحضر، أو إسلام العصور الوسطى في مواجهة إسلام العصر الحديث... ومثل هذا الانشقاق الإسلامى الذى يفضى إلى تمزيق المجتمعات الإسلامية وإفهاكها لن يعود بالخير على المسلمين والعالم الإسلامى بل سيوقعه في مزيد من الضعف والتناقض.

ومن هنا تبدو الحاجة ملحة لإصلاح جذرى واسع النطاق في النظم الإسلامية، وقبل كل شئ في مناهج الفكر الإسلامى والخطاب الدينى وأساليب الحكم بأبعادها الإقتصادية والاجتماعية قبل فوات الأوان!!" (١٧٨).

من صور الواقعية التى ينبغى أن نضعها نصب أعيننا هى وزن السياسات الغربية بميزان دقيق. والكاتب والناقد الاجتماعى والثقافى السيد ياسين يعرض ويفند كتابا من كتب السياسات الإستراتيجية الأمريكية فيقول: (١٧٩) "والكتاب الذى أصدرته شيرلى

(١٧٨) سلامة أحمد سلامة - صراع إسلاميات - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩-١١-٢٠٠٣م.

(١٧٩) السيد ياسين - التشخيص الأمريكى للحالة الإسلامية - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩-٧-٢٠٠٤م.

بينار له عنوان لافت للنظر حقا وهو "الإسلام المدني الديمقراطي: شركاء وموارد واستراتيجيات" والباحثة لا تتردد في وصف مهمة الكتاب بأنها إسهام في عملية "إعادة بناء الدين الإسلامي" Religion Building على غرار عملية "بناء الأمة Nation Building وهذه العملية لا ينبغي على الغرب وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية الانفراد بها، بل من الضروري اصطفاء عناصر فاعلة من بين التيارات العلمانية والحدائية بل والتقليدية الإسلامية لكي تسهم في هذه العملية المعقدة. ومن هنا يأتي العنوان الفرعي لهذا التقرير الاستراتيجي المهم "شركاء وموارد واستراتيجيات". فكلمة الشركاء تشير إلى هؤلاء الفاعلين الإسلاميين الذين سيقبلون لسبب أو لآخر الاشتراك مع الجهود الغربية عموما والأمريكية خصوصا في عملية إعادة صياغة الأفكار الإسلامية من خلال عملية إصلاح ديني لها خطوطها البارزة والتي تصب في النهاية في استئصال الفكر المتطرف مما سيؤدي بالضرورة إلى تخفيف منابع الإرهاب. أما إشارة العنوان الفرعي إلى الموارد فمعناها ببساطة تخصيص ميزانيات ضخمة للاتفاق على المشروع من خلال وكلاء يقومون بمهمة تجنيد الأنصار ونشر الكتب وإصدار المجلات التي تحمل الفكر الإصلاحى الإسلامى الجديد! والولايات المتحدة الأمريكية لديها خبرة في تجنيد "الوكلاء" و"الأنصار" و"العملاء" لتنفيذ مشاريعها الثقافية المخططة التي تهدف منها إلى إعادة صياغة نسق القيم في المجتمعات العربية والإسلامية. ويمكن أن نرد هذه الخبرة إلى عصر الحرب الباردة حين خاضت الولايات المتحدة الأمريكية حربا ثقافية ضد الشيعة. هذه الحرب موثقة توثيقا ممتازا في كتاب "الحرب الباردة الثقافية" الذى أصدره المشروع القومى للترجمة فى المجلس الأعلى للثقافة.

وتواصل الولايات المتحدة الأمريكية اليوم - وخصوصا بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر- حربا ثقافية من نوع جديد موجهة ضد التيارات الإسلامية المتطرفة. وأصبح لديها اليوم برنامج معلن لنشر قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان. ليس ذلك فقط بل أصبح لها "وكلاء" راسيون ومعتمدون تغدق عليهم الأموال ليقوموا بأدوار معتمدة داخل مجتمعاتهم، بعضها معلن والآخر سرى، لن نعرف طبيعته إلا بعد مرور عدد من السنين. ويؤكد كلامنا القرارات التى صدرت من الكونجرس الأمريكى لتخصيص منحة

مالية ضخمة للوكيل الأمريكي المعتمد في مصر لتنفيذ هذا البرنامج، وإمعانا في التحدى تقرر أن تكون هذه المنحة خصما من المعونة الأمريكية للحكومة المصرية".
غاذج الواقعية تقدم لنا أمثلة، ولا تقع في نطاق الحصر. وقد تدفع هذه النماذج سؤالا ماذا نفعل في نطاق الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامى؟ هل نكتفى بالوعى عند وضع الخطط؟ أم هناك ما نعمله فورا؟ نعم.

يجيب فهمى هويدى (١٨٠) على مثال من الواقع الفلسطينى قائلا: "إن إسرائيل بسياستها الرامية إلى استكمال بناء الجدار الوحشى تستدعى بقوة تجربة نظام الفصل العنصرى فى جنوب إفريقيا الذى أدانه العالم ولفظه فسقط معنويا وأخلاقيا قبل أن يسقط سياسيا وينضم إلى قمامة التاريخ، وفى حيثيات قرار محكمة لاهاى الذى أبطل شرعية الجدار سند قانونى وأخلاقى فى غاية الأهمية يمكن أن يركز عليه أى جهد يبذل لتعريفة قبح الموقف الإسرائيلى وفضحه، ذلك أن تلك الحثيات أكدت أن إسرائيل فى الضفة الغربية والقطاع دولة محتلة، وأبطلت كل ما صدر عنها من أفعال أو أقيم من مستوطنات أو مشروعات فوق الأرض المحتلة، وتحدى إسرائيل ذلك القرار فإنما اختارت أن سف فى المربع اللاقانونى والأخلاقى وهو ما نبه إليه وحذر منه بعض العقلاء وأهل القانون فى إسرائيل ذاتها (للعلم فقرار محكمة لاهاى كان مشجعا لحفيد الزعيم الهندى الراحل مهاتما غاندى — اسمه أرون غاندى — الذى يدير معهداً للاعنف يحمل اسم جده فى الولايات المتحدة، لكى يقود مجموعة من الناشطين لشن حملة ضد الجدار وضد الاحتلال).

فى الوقت ذاته فإن انتفاضة الأسرى الفلسطينيين توفر فرصة أخرى لفضح الممارسات الإسرائيلية فى السجون التى لم تكن الجرائم التى ارتكبت فى أبو غريب وجوانتانامو إلا استنساخا لها، ويستطيع الإعلام العربى — إن وجد — أن يلعب دورا أساسيا فى هذه المهمة وعند الحد الأدنى، فيوسع المؤسسات الفلسطينية ولجان العودة أن تعمم المعلومات الخاصة بتلك الممارسات عبر شبكة الإنترنت.

(١٨٠) فهمى هويدى — عن معركة الأمعاء الخاوية — جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤-٨-٢٠٠٤م.

وإذا أراد "المتضامنون" أن يفعلوا شيئا مفيدا بدلا من إحالة مسئولية الفعل إلى الآخرين، فلماذا لا يطالبون مثلا بتعميم الإضراب على العالم العربي والإسلامي لمدة يوم على الأقل يوقف فيه العمل ويشهر الاحتجاج على الملأ لكي يفضح الموقف الإسرائيلي أمام العالم بصورة قوية.

وإذا شاء هؤلاء أن يثبتوا جديتهم بصورة حاسمة وتضامنهم القلبي وليس الشكلى أو الإعلامى فحسب. فلماذا لا ينضمون إلى حملة مقاطعة إسرائيل أكاديميا وثقافيا بسبب مواقفها اللاإنسانية واللاأخلاقية واللاقانونية في الأرض المحتلة. أدرى أن هناك من سيلوى شفثيه ويتململ في مقعده عند ذكر كلمة مقاطعة، لكنى أريد أن اضع بين أبدي هؤلاء تجربة نفرمن المثقفين الإنجليز الشرفاء الذين خاضوا تلك التجربة ونجحوا في أن يعلنوا موقفا علميا شريفا ضد هجيرة الاحتلال ولا أخلاقية.

ففى ٢٠/٨/٢٠٠٤ نشرت صحيفة " الحياة " اللندنية تقريرا مفصلا عن "حملة المقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل" أعدته الصحفية فاتنة الدجاني، ذكرت فيه أن الحملة انطلقت من لندن حيث بادر أكاديميان بريطانيان هما ستيفن وهيلارى روز في أوج الاجتياحات الإسرائيلية للأراضى الفلسطينية إبان صيف عام ٢٠٠٢، إلى نشر رسالة مفتوحة في صحيفة " الجارديان" حملت ١٢٣ توقيعاً لأكاديميين بريطانيين، دعت الرسالة مؤسسات الثقافة والأبحاث الأوروبية والقومية التى يعولها الاتحاد الأوروبى ومؤسسة العلوم الأوروبية إلى فرض عقوبات على إسرائيل، من قبيل قطع التمويل عنها، ما لم تلتزم قرارات الأمم المتحدة وتبدأ بشكل جاد فى التفاوض على الحل السلمى مع الفلسطينيين.

هذا التحرك اكتسب تأييدا متزايدا، إذ تحولت الرسالة إلى عريضة حملت ألف توقيع من بلدان متعددة وضمت عشرة أكاديميين إسرائيليين، وأكدت العريضة رفض التعاون أكاديميا مع المؤسسات الإسرائيلية الرسمية بما فيها الجامعات، كما رفضت المشاركة فى المؤتمرات العلمية التى تقيمها إسرائيل أو إجراء التعاون البحثى أو حتى الاستشارى، وإن شددت على أن التعاطى مع الأكاديميين الإسرائيليين سيتم على أساس فردى.

تزامن هذا التحرك مع دعوة أطلقتها الجمعية الوطنية للمؤسسات للدراسات العليا

في بريطانيا دعت فيها كل المؤسسات إلى إعادة النظر في علاقتها الأكاديمية مع إسرائيل فوراً. ولحقت بها جمعية أساتذة الجامعات في بريطانيا التي صوتت لصالح مقاطعة تمويل الجامعات الإسرائيلية. وكانت نتيجة ذلك أن انخفض إلى حد كبير عدد الأكاديميين البريطانيين المشاركين في المؤتمرات التي أقيمت في إسرائيل في حين امتنع عدد منهم عن قبول أوراق بحثية لأكاديميين إسرائيليين.

حين يفكر بعض البريطانيين على هذا النحو، ويتضامن معهم ألف أكاديمي، فإن ذلك ينبغي أن يشعرنا بالحنج، ليس فقط لأننا لم نفعل شيئاً مماثلاً هو في مقدورنا لاريب، ولكن أيضاً لأننا نطرح السؤال الأبله: هل بوسعنا أن نفعل شيئاً من أجل الأسرى غير الشجب والمناشدة؟".

وخلاصة القول: أن الخطة الواقعية في مجال الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي لا تلغى التلقائية أو الذاتية، ولكن المقصود هو أن يتم العمل في إطار عام، وثوابت متفق عليها، وأن يزيد كل جهد في الدعوة الجهد السابق أو المجاور أو الموازي. وأن تتفاعل وتنمو وتخصص الجهود لتصبح في إجمالها متضاعفة غير متناثرة ولا متناقضة أو عديمة التأثير.

الخاتمة

نظرية القافلة القاطرة

تفودنا فصول هذه الدراسة إلى التفكير في ضرورة العمل القوي لدفع حركة الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي لتصبح مثل القاطرة التي تجر عربات القطار. وهذه رؤيتي في إنشاء مركز عالمي للإعلام بالإسلام والدعوة الإسلامية.

اجتمع يوماً أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبدالله بن مسعود أنسا. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجل له عشرة يمنعونه من القوم إن أرادوه. قال: دعوني فإن الله سيمعني، وغدا ابن مسعود إلى مقام إبراهيم أمام الكعبة في ضحوة النهار، وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام فقراً: (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ) فتأملوه ثم تبهوا فضربوه على وجهه، ثم انصرف إلى أصحابه وعلى وجهه آثار الضرب. فقال أصحابه هذا الذي خشينا عليك، فرد عليهم بأنه مستعد لأن يفعل ذلك في اليوم التالي. فردوا عليه بالنفي. ماذا لو خاطبنا المجتمع الدولي بمثل هذا العزم وقد تغيرت الوسائل والأساليب؟؟

يقول المستشرق الإنجليزي (السير توماس أرنولد المتوفى عام ١٩٣٠م) في كتابه الدعوة إلى الإسلام الذي نشره في عام ١٨٩٦م والذي ترجم إلى اللغة العربية عام ١٩٤٧م، يقول أرنولد في خاتمة كتابه تحت عنوان: دعاة المسلمين. عدم وجود هيئة منظمة لهم.

" أما في الإسلام فإن عدم وجود أي لون من ألوان الكهنوت، أو أية هيئة دينية منظمة أيا كانت، قد جعل نشاط الدعوة عند المسلمين يتجلى في صور مختلفة تمام الاختلاف عن تلك التي تظهر في تاريخ البعوث التبشيرية المسيحية، فليس هناك جمعيات للدعوة ولا موكلون مدربون لهذا الغرض."

ثم يستدرك المؤلف قائلاً: لم تبدأ هيئات منظمة على غرار الجمعيات المسيحية التبشيرية في الظهور إلا في القرن العشرين. وما يود "أرنولد" أن يؤكد هو عدم وجود

كهنوت في الإسلام، والمعلم الديني في الإسلام واحد من عامة المسلمين. فليست هناك نظرية ترى ضرورة العكوف على تأدية الوظائف الدينية، أو التصريح بها في الإسلام. ويضيف "أرنولد" قائلا: ومهما تكن المساوي التي نجمت من حاجة المسلمين إلى طبقة كهنوتية تختص بنشر العقيدة. فقد وجدوا ما يعوضهم عنها في ذلك الشعور الناشئ عن المسئولية التي أقيت على كواهل المؤمنين من الأفراد، ولما لم تكن هناك واسطة بين المسلم وربّه، كانت مسئوليته خلاصه الشخصي ملقاة على كاهله وحده. ثم يضيف قائلا: " وما يردده الباحثون بأن كل مسلم داعية إلى دينه، يبقى قولاً صحيحاً".

ويستعرض أرنولد نماذج تاريخية من الدعاة تؤكد قوله منهم الملوك ومنهم الفلاحون والعمال البسطاء والمدارس البسيطات. وبرغم ما يقع على المستشرق فيه عادة من خطأ بسبب عدم إدراكه للشريعة الإسلامية، فإن ما سوى ذلك من أمثلة يستحق التقدير العلمي والثناء. ومن أمثلة الخطأ تأثير الزوجة المسلمة على المغولي حتى يسلم، فالواقع أن المسلمة لا تتزوج غير مسلم. وربما كان المعنى هو دورها بعد دخوله منه أولاً في الإسلام فزواجها.

حتى المسلم الأسير، يفتنم الفرص في المناسبات لدعوة آسريه وإخوانه في الأسر إلى دينه. وقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر بفضل ما قام به أسير مسلم في القرن الحادي عشر الميلادي. وفي القرن السابع عشر الميلادي في عهد الإمبراطور جيهانجيز (١٦٠٥ - ١٦٢٨م) دخل السجن فقيه مسلم يدعى الشيخ أحمد مجدد. وخلال عامين قضاهما في السجن أدخل في الإسلام عدة مئات من عبدة الأوثان الذين كانوا يرافقونه في السجن. وفي إفريقيا الوسطى حكم البلجيكيون على زعيم عربي بالإعدام، ف قضى ساعاته الأخيرة وهو يحاول أن يدخل في الإسلام ذلك المبشر المسيحي الذي كان قد أرسل إليه ليزجي إليه التعازي الدينية. ويمضي أرنولد قائلاً: وإذا كان المسلمون قد بلغوا مثل هذه الحماسة في نشر الدعوة إلى حد أنهم كانوا على استعداد للتحدث عنها في مناسبة وفي غير مناسبة - كما يقول دواتسى - في حفاصة ودقة وملاحظة، وحديثهم دائماً (في غير زندقة) عن الدين.

ويرى أرنولد أنه في مقدمة أسباب نجاح الدعاة المسلمين بساطة العقيدة الإسلامية في

التوحيد الخالص، وهو يؤكد قول "موتيه" بأن الإسلام في جوهره دين عقلي بأوسع معاني الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية، فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationalism بأنه طريقة تقييم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ينطبق عليها تمام الانطباق. ويرى أرنولد أنه لا يمكن إنكار ما علق بالعميقة من خرافات وتقديس الأولياء وما شابه ذلك. ولكن برغم ذلك حفظ القرآن مركزه من غير أن يطرأ عليه تعديل أو تبديل، باعتباره النقطة الأساس التي بدأت منها تعليم هذه العميقة. لقد جهر القرآن دائماً بمبدأ الوحدانية في عظمة وجلال وصفاء لا يعتبره التحول" (١٨١).

ويقول سيد قطب: إن الإسلام ليس حادثاً تاريخياً، وقع مرة، ثم مضى التاريخ وخلفه وراءه.. إن الإسلام مواجهة دائمة لهذه البشرية إلى يوم القيامة وهو يواجهها كما واجهها أول مرة، كلما انحرفت هي وارتدت إلى مثل ما كانت فيه أول مرة (١٨٢) والواقع أنه " لم تتجه شريعة الإسلام لصف من الناس دون صف، ولا لقوم دون قوم.. بل هي شريعة - كذلك - لكل البشر، وآيات القرآن الكريم توضح هذا وتقول:

- * "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ".
- * "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ".
- * "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"
- * " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ".
- * "وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ".

(١٨١) توماس أرنولد - الدعوة إلى الإسلام (ترجمة: د. حسن إبراهيم و د. عبد المجيد عابدين وإسماعيل

البحراوي) - الطبعة الثالثة - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٧٠م - ص ٤٥٤، ص

٤٥٥)

(١٨٢) سيد قطب - في ظلال القرآن - جزء ٣ - مرجع سابق - ص ١٢٥٥

* "لَمْ يَخُكِّمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَوْلَيْنَكَ هُمُ الْكَافِرُونَ"
* "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"

وهكذا تتوالى آيات القرآن الكريم، كما تواتت أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم —، كما وردت وقائع السيرة النبوية، وسلوك الخلفاء الراشدين والصحابة الأبرار والتابعين وتابعيهم.. تتوالى كل ذلك وتواتر وتتابع.. بحيث أصبح القول والإيمان بعالمية الشريعة الإسلامية أمراً معلوماً من الدين بالضرورة.. تلك كانت عالمية الشريعة الإسلامية في عالم الشعوب بعد الحكام، وفي عالم التطبيق البشرى بعد البيان القرآني والسلوك النبوي الكريم.

ومن هنا.. يتجلى.. وبغاية الوضوح.. أن نشر هذه الرسالة الإسلامية هو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي، أما إذا لم يقم به البعض فإنه يصبح فرض عين. ويقع إثم التقصير في الدعوة إلى الله على جميع أفراد المسلمين.. كل منهم بحسب قدرته وإمكاناته المادية والمعنوية.. " (١٨٣).

ويقول الملك الراحل خالد بن عبد العزيز:

" إن رسالة الإسلام رسالة إنسانية عالمية.. لا تفرقة فيها أو تميز، وإنما لتطلع إلى مستقبل الأعوام، وقد قام كل فرد مسلم وكل عالم ومفكر إسلامي، وكل قائد مسلم بواجبه في نشر هذه الرسالة الخالدة والتعريف بها. وقد هيأت لنا العلوم والثقافة والتقنية ووسائل الإعلام كل الإمكانيات والسبل لإبلاغ هذه الرسالة" (١٨٤).

من هذه الأسباب نرى إنشاء مركز عالمي للإعلام الإسلامي ضرورة عصرية أوجبتها ظروف العصر. ولقد شغلت فكرة استراتيجية إعلامية إسلامية بعض الهيئات والمنظمات المتخصصة مما يمكن اعتباره مجالاً من مجالات المركز العالمي للإعلام الإسلامي.

(١٨٣) الشريعة الإسلامية والنظرة العالمية — افتتاحية مجلة الدعوة (السعودية) العدد ٧٧٥ بتاريخ ٨-١٢-١٩٨٠ م.

(١٨٤) من خطاب الملك الراحل خالد بن عبد العزيز آل سعود الذي ألقاه الأمير فهد (ولي العهد) آنذاك الملك بعد ذلك في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الإسلامية في المسجد الحرام بعد عصر يوم الأحد ١٩ ربيع الأول ١٤٠١هـ الموافق ٢٦ يناير ١٩٨١ م.

لقد قدمت جامعة الدول العربية ورقة عمل للمؤتمر الأول للإعلام الإسلامي
بجاكرتا (شوال ١٤٠٠هـ - سبتمبر ١٩٨٠م) ذكرت فيها أن الإعلام الإسلامي ينبغي
أن يتناول ثلاثة محاور أساسية وهي:

١- التعريف بالقيم والمبادئ الأساس التي يقوم عليها الإسلام، وتقديم النماذج
الإسلامية في الحياة الإنسانية ووجوه عطائه الحضارى، وما يميزه بشكل واضح يعين على
الفهم والرؤية، والمساهمة الفعالة في مسيرة الحضارة الإنسانية على ضوء الإسلام وبهدى
من تعاليمه السمحة.

٢- دراسة واقعنا الإسلامي بصورة موضوعية، وتحليل العوامل التي أدت بالمجتمعات
الإسلامية إلى القعود والضعف والتخلف، وتحديد منطلقات الدفع لتصحيح مسار الأمة
الإسلامية إلى الأصالة والتجديد والقوة والعطاء.

٣- التعمق في دراسة التحديات الحضارية المعاصرة للإسلام وللأمة الإسلامية،
والتصدى في منهجية للحملات الإعلامية المعادية والمفرضة وبالخصوص في القضايا
السياسية والدينية.

كما قدمت مقترحات للنهوض بالإعلام الإسلامي على النحو التالى:

- شمول النظرة في العناية بالإعلام المقروء من صحف ونشرات ومجلات وكتب،
وبالإعلام المرئى والمسموع من إذاعة وتلفزيون وسينما ومسرح ورسوم، ونشرها في
العالم الإسلامي على أوسع نطاق.

- شمول الإعلام الإسلامى للأقليات الإسلامية في مختلف الأقطار غير الإسلامية
وعمختلف اللغات الحية ولغات العالم الإسلامى، ومزيد العناية بهم، وإعداد برامج إذاعية
هم، وإمدادهم بما يحتاجون إليه من كتب دينية ملائمة.

- تكوين مراكز ومعاهد عليا للإعلام الإسلامى يتخرج منها متخصصون إعلاميون
في أعلى مستوى علمى وفنى وتكنولوجى، وتشجيع البحوث والدراسات في رسائل
الدرجات العلمية بالجامعات في مجال الإعلام الإسلامى، وذلك بالتعاون مع وزارات
الإعلام والثقافة والتعليم.

- رصد الجوائز المشجعة للإنتاج الإعلامى المتفوق في مختلف فروع الثقافة

الإسلامية، توفيراً للمادة الإسلامية الإعلامية المنفتحة في مختلف المجالات بما في ذلك مجال الترفيه.

- إنشاء منظمة علمية للإعلام الإسلامي تكون مصدر إشعاع وتشريع وتوجيه، وتنبثق منها مؤسسات إعلامية مع دعم الوكالات الإسلامية للأنباء.

- نشر الإعلام الإسلامي في العالم على أوسع نطاق ممكن، حتى لا يبقى مغلقاً على نفسه، وحتى لا يوسم بالترمت والانعزالية وتطعيمه دوماً بالثقافات المعاصرة التي لا تصادم مبادئ الإسلام ولا تخالف أصوله.

- وضع ميثاق الشرف للإعلام الإسلامي على أسس قومية، وفي مرونة تساعد على التطبيق، وتسمح باجتلاب أكبر عدد ممكن من الأقطار الإسلامية، وإن اختلفت مذاهبها، ونظمها السياسية والاجتماعية عملاً بمبدأ التقريب بين المسلمين، وضماناً لنجاح الميثاق في أهدافه العليا وغاياته الأساس.

ولقد وضعت منظمة إذاعات الدول الإسلامية تصوراً للقضايا والموضوعات التي يمكن للإستراتيجية الإعلامية الإسلامية أن تطرحها على النحو التالي:

- ١) تحديد الأهداف الكبرى الرئيسة لأجهزة الإعلام الإسلامية.
- ٢) تصحيح النظرة إلى الإسلام وتنقية الفكر الإسلامي مما علق به من شوائب.
- ٣) المساهمة مع الأجهزة والمؤسسات المعنية في العمل على إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، والتعريف به بعد تخليصه من التشويه والتحريف.
- ٤) تسليط الأضواء على المعطيات الحضارية والثقافية والإنسانية للإسلام، وتوظيف قيمه في بناء الإنسان المسلم.
- ٥) إبراز عطاء الإسلام للحضارة الإنسانية واستمرارية قدرته على ذلك.
- ٦) كشف إفلاس الحضارة الغربية بشقيها الغربي والشرقي.
- ٧) إظهار إمكانات الإسلام على قيادة حركة الإنسان المسلم وترشيد مسيرة الإنسان المعاصر في عصر المعاناة والقلق والتمزق والذي لا مخرج منه - رغم التقدم المادى المذهل - إلا في ظل قيم الإسلام ومثله الإنسانية الرفيعة والواقعية. وفي ظل التوازن أو التعادلية التي تمثل سمة الإسلام. ومبادئ وتشريعات الإسلام.

٨ تعريف الشعوب الإسلامية ببعضها وتقوية وسائل الاتصال فيما بينها، من خلال منظمة إذاعات الدول الإسلامية ووكالة الأنباء وكافة وسائل الاتصال، فليس من المعقول أن يجهل المسلمون أحوال بعضهم، أو تعرف الخرطوم أخبارا كمبالا مثلا عن طريق لندن أو نيويورك أو موسكو، وليس من المعقول أن تكون المسافة بين أية عاصمتين إسلاميتين أطول من نفس المسافة حين تمر بعاصمة أجنبية في أقصى المعمورة، أو كما قيل بحق فإن المسافة من أية عاصمة أوروبية إلى أية عاصمة إسلامية أقصر دائما - من الناحية الإعلامية - من نفس المسافة في الطريق العكسي.

٩ مواجهة سيطرة الدول المتقدمة على العملية الإعلامية وبصفة خاصة في النظام الحالي للاتصالات (صحافة - إذاعة - تلفزيون - وكالات).

١٠ إن حق الإعلام أحد حقوق الإنسان ولا بد من مواجهة الاختلال الرهيب في التوازن بين أخبار ومعلومات العالم المتقدم وبين أخبار ومعلومات الدول النامية ومنها الإسلامية، ولقد نشر أن ثلاثة أرباع البشرية تقريبا وأغلبه في العالم الإسلامي لا يحظى بربع التغطية الإعلامية.

ولا يخفي آثار ذلك في التعميم الإعلامي على أبناء العالم الإسلامي وشعوبه وقضاياها ومشاكله وآماله، مع تلوينها بحسب الأهواء والمصالح الاستعمارية، ومع تجاهل وتشويه أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية.

١١ لقد نقلت المنظمة في بيان لها في المؤتمر العاشر في فاس عن دراسة منشورة أن الدول المتقدمة تسيطر على ٨٥ - ٩٠% من أصل الطيف للذبذبات الإذاعية، ولا أمل في تحسن ذي قيمة في وقت قريب.

إن بعض الإذاعات المتقدمة فضلا عن ذلك تبث برامجها من أراضي دول نامية - بينها دول إسلامية - وبعضها إذاعات دينية موجهة، لا بقصد خدمة أتباع تلك الديانات، وإنما بقصد الغارة الثقافية والإعلامية التبشيرية الموجهة ضد العالم الإسلامي.

١٢ ضرورة وضع خطة لمواجهة الغزو الثقافي الإعلامي.

١٣) ضرورة خدمة الثقافة والتراث الإسلامى من خلال الأعمال الفنية، مع تنسيق إنتاجها وتنشيط تداولها تجاريا وتبادليا.

١٤) طرح عطاء الإسلام العقدى في مواجهة الفلصفات والمذهبيات والنظم الاجتماعية من الشرق والغرب. وتأكيد دور الإعلام في بناء الشخصية المسلمة. والبناء الثقافى اللازم لانبعاث المسلمين وهضتهم، بحيث تقدم مبادئ الإسلام الرئيسية مع إبراز إجمالها لما يتغير وتفصيلها لما يتغير لتأكيد وتوضيح صلاحيتها لكل زمان ومكان. وهذه العقديية هى التي يتوجه بها المسلمون إلى العالم ويتسلحون بها في ذات الوقت، لمواجهة الغارة الإلحادية التبشيرية الصهيونية التي تستهدفه من كل الوجوه.

إن مثل هذه الجهود من جامعة الدول العربية، ومن منظمة اتحاد إذاعات الدول الإسلامية، إلى جانب البحوث والدراسات التي تتعلق بهذا الموضوع يمكن أن تكون نواة لاستراتيجية إعلامية إسلامية.

والواقع أنه ينبغي لنا دراسة إنشاء مركز عالمى للإعلام الإسلامى والدعوة الإسلامية بروح عصرية، فلا بد من اشتراك الشيعة مع السنة في مثل ذلك النشاط، لقد اشتركت في نشر المسيحية في إفريقيا أكثر الأمم المسيحية (١٨٥): الأمم الكاثوليكية، الأمم البروتستانتية على حد سواء. ولقد كان من أهم العوامل التي ساعدت على نشر المسيحية في القرن التاسع عشر تغير نظرة المبشرين إلى العادات الوثنية. فقد كان هؤلاء أول الأمر ينظرون إلى هذه الديانات نظرة احتقار، وانصرفت جهودهم الأولى إلى محوها من نفوس الزنوج. غير أن المبشرين بدءوا يستعينون بعلم الأجناس ويعرضون على أعضاء البعوث التبشيرية قبل أن يقصدوا تلك الجهات اتباع خطة مرسومة تقضى بدراسة البيئات دراسة شاملة وفهم نظمها الاجتماعية وملحقاتها.

وعمد المبشرون إلى الاختلاط بالسكان والتعاون معهم في كل مناسبة، وترجمت الكتب المقدسة إلى اللغات المحلية. وفرضت على هؤلاء المبشرين مهمات اجتماعية

(١٨٥) ٥ د حسن أحمد محمود — الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا — الجزء الأول — دار النهضة العربية —

القاهرة — الطبعة الثانية — ١٩٦٣ — ص ٣٦، ٣٧ .

وثقافية. وبدأت الكنائس المحلية تعين قساوسة من الإفريقيين حتى يدرك الزنوج أن الكنيسة ليست احتكاراً للجنس الأبيض، بدأ هؤلاء المبشرون يتولون بوسيلتين بالغنى الخطورة: أولاهما الخدمة الطبية بإنشاء المستشفيات. فأنشأت مناس المستشفيات والعيادات فعملت على تنمية العلاقات بين المبشرين وأهل البلاد. ثم إنشاء المدارس المسيحية، وإذا أنشأ المبشرون في إفريقيا الزنجية المدارس قبل أن تبدأ الحكومات، بل اضطرت بعض الحكومات إلى أن تعهد للمبشرين بمهمة التعليم."

هذه التجارب التاريخية ينبغي الاستفادة منها، ووضعها في الاعتبار عند تأسيس المركز العالمي للإعلام الإسلامي.

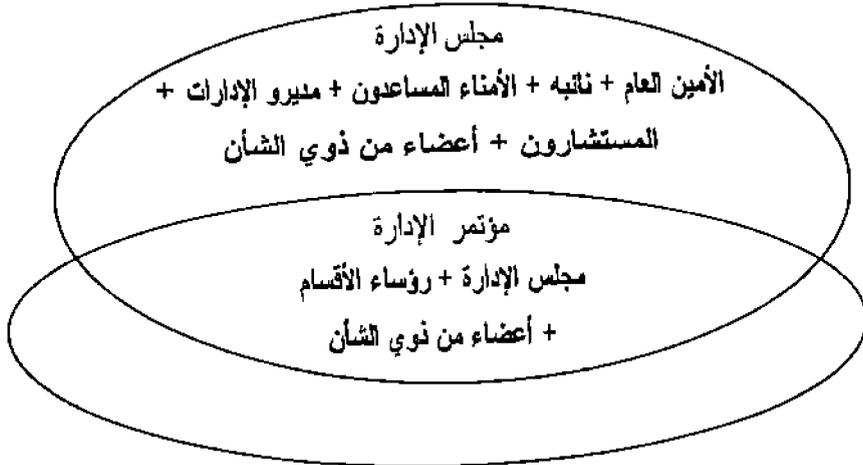
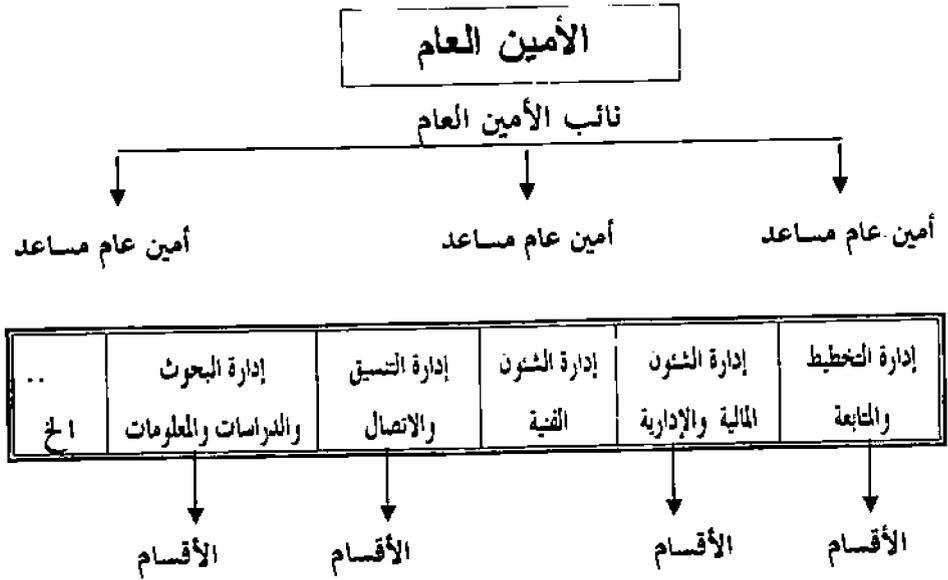
وإذا تحدثنا بشيء من التفصيل، فإن مثل ذلك المركز ينبغي أن تكون له قواعد في الخرطوم وشمال إفريقيا وتركيا وباكستان وغيرها. إن فرع المركز بالخرطوم مثلاً يمكن أن يكون قاعدة للتوجه إلى إفريقيا السمراء، وفرع باكستان قاعدة للتوجه إلى آسيا، وفرع الشمال الإفريقي قاعدة للتوجه إلى أوروبا وبخاصة البلدان الناطقة بالفرنسية وإفريقيا الناطقة بالفرنسية.. وهكذا.

لقد فرضت طبيعة العصر — كما سبق القول — على رجل الإعلام ورجل الدعوة أن يدرس الجمهور الذي يتوجه إليه. إن تنوع أنماط التعليم المختلفة واختلاف طرق التفكير، ونوع القيم والعادات والتقاليد، وبمعنى شامل اختلاف الثقافات بين الأمم كل ذلك له آثاره التي من شأنها أن تقف سدا أمام الإعلام الدولي ما لم يحسن اختياره. لذلك من السهل على السوداني أن يتخاطبوا مع وسط إفريقيا وغربها، ومن السهل على المغاربة والجزائريين والتونسيين مخاطبة فرنسا، ومن السهل على الباكستانيين مخاطبة الشعوب الآسيوية المحيطة بهم، ومن السهل على الأتراك مخاطبة أوروبا الشرقية.

إذا وضعنا تصوراً لتنفيذ هذه الفكرة. فكرة إنشاء مركز عالمي للإعلام الإسلامي فإن السبيل إليها في غاية اليسر، إن التمويل وهو أهم مشاكل المشروعات لا يمثل مشكلة، إذ إن التبرعات ومساهمات البنوك الإسلامية، والحكومات الإسلامية كقيلة تجلب عدة مليارات من الدولارات لتحقيق المشروع. ولكن مثل هذا المشروع يحتاج إلى شخصية في مستوى ملك أو رئيس يتفخ فيه الروح.. لماذا؟ لأن الظروف الموضوعية المعاصرة للعالم الإسلامي تحتم ذلك.

أما كيف يبدأ التنفيذ؟ يبدأ بعقد مؤتمر لذلك. ومن المؤتمر يقوم الهيكل التنظيمي للمركز، ويمكن تصور هذا الهيكل على النحو التالي:

تصور للهيكل التنظيمي للمركز الدولي للإعلام الإسلامي والدعوة الإسلامية



قسم القسم قسم الراديو قسم قسم قسم إخراج

الاتصال المباشر الهندسي والتلفيزين الصحف الترجمة المكتبات

هذا النموذج يمكن أن يمثل القاطرة التي تجر عربات الجزر المنفرقة للدعوة الإسلامية وللإعلام الإسلامي.

ومن باب الإنصاف والصدق مع النفس فإن هذا المثل الذي ضربته بإنشاء مركز عالمي للإعلام الإسلامي والدعوة الإسلامية يمكن أن يجتهد غيري فيضرب مثلاً مثله أو أجدى منه.. والعبرة في أن تتحرك القافلة وأن ينطلق شعاع الدعوة الإسلامية إلى آفاق الدنيا.

والله من وراء القصد

والله ولي التوفيق،،،

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- كتب التفسير.

٣- صحيح البخاري.

ثانياً: كتب عربية ومعربة:

- ابن مسكويه - تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق (حقيقه وشرح غريبه ابن الخطيب) - ط١- المطبعة المصرية ومكتبتها - القاهرة.
- ابن هشام - السيرة النبوية (تحقيق مصطفى السقا وآخرين) - الجزء الثاني - مصطفى الباي الحلبي وأولاده - القاهرة - ١٩٣٦م.
- أبو الأعلى المودودي - الحجاب - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٧٨م.
- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الجزء التاسع عشر - إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة.
- أحمد أمين - ضحي الإسلام - مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٧م.
- د. إدوارد سعيد - تغطية الإسلام - (ترجمة سميرة نعيم خوري) - الطبعة العربية الأولى - مؤسسة الأبحاث لعربية - بيروت - ١٩٨٣م.
- البابا شنودة الثالث - الوصايا العشر - ط٧ - مطبعة الأنبا رويس بالعباسية - القاهرة - ١٩٨٩م.
- السيد ياسين - الإمبراطورية الكونية، الصراع ضد الهيمنة الأمريكية - ههضة مصر - القاهرة - ٢٠٠٤م.
- المختار من الكامل في التاريخ لابن الأثير - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٨م.
- المختار من تاريخ الطبري - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٨م.

- المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية- تأليف نخبة من أساتذة قسم الاجتماع - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الخطة الشاملة للثقافة العربية - الكويت - ١٩٨٦م.
- المنظمة العربية لحقوق الإنسان - حقوق الإنسان العربية - كتاب غير دوري
- ٢٧-٢-١٩٨٥م.
- د. بركات أحمد - محمد واليهود، نظرة جديدة - (ترجمة محمود على مراد) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨م.
- د. تركي صقر - الإعلام العربي وتحديات العولمة - منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية - دمشق - ١٩٩٨م.
- توماس أرنولد - الدعوة إلى الإسلام (ترجمة: د. حسن إبراهيم و د. عبدالمجيد عابدين وإسماعيل البحراوي) - ط ٣ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٧٠م.
- توماس ل. فريدمان - السيارة ليكساس وشجرة الزيتون - (ترجمة ليلى زيدان) - الدار الدولية للنشر والتوزيع - ط ١ - القاهرة - ٢٠٠٠م.
- جاك برك - أي إسلام - (ترجمة بشير السباعي) - ط ١ - دار العالم الثالث - القاهرة - ٢٠٠٤م.
- جاكوب برونوفسكي - التطور الحضاري للإنسان - (ترجمة د. أحمد مستجير) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٧م.
- د. جلال أمين - العولمة - ط ٣ - سلسلة اقرأ - دار المعارف - القاهرة - ٢٠٠٢م.
- جون ستروك - النبوية وما بعدها - (ترجمة د. محمد عصفور) سلسلة عالم المعرفة - الكويت - فبراير ١٩٩٦م.
- جوستاف لوبون - حضارة العرب - (ترجمة عادل زعيتن) - ط ٤ - مطبعة عيسى البابي - القاهرة - ١٩٦٤م.
- جون ستوارت مل - الحرية - (ترجمة طه السباعي) - الهيئة المصرية العامة

- للكتاب - القاهرة - ١٩٩٦ م.
- جيهان رشدي - الأسس العلمية لنظريات الإعلام - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٧٨ م.
- حسن أحمد محمود - الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا - الجزء الأول - دار النهضة العربية - القاهرة - ط ٢ - ١٩٦٣ م.
- د. حسن علي محمد - ثورة الإعلام - سلسلة اقرأ - دار المعارف - القاهرة - ٢٠٠٣ م.
- د. رشاد رشدي - ما هو الأدب؟ - مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٨ م.
- روجيه جارودي - في سبيل حوار الحضارات - (تعريب د. عادل العوا) - عويدات للنشر والطباعة - بيروت - ط ٥ - ٢٠٠٣ م.
- روجيه جارودي - كيف نصنع المستقبل؟ (ترجمة وتقديم: د. منى طلبية وأنور مغيث) - ١٩٩٨ م - ط ٢ - دار الشروق - القاهرة - ٢٠٠١ م.
- د. رؤوف شلبي - الدعوة الإسلامية في عهدها المكّي، مناهجها وغايتها - من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة - ١٩٧٤ م.
- د. زين العابدين متولى - الفلك عند العرب والمسلمين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٧ م.
- سامح كريم - إسلاميات - مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٨ م.
- د. سعيد على ثابت - الأصول الفكرية للإعلام، دراسة نقدية مقارنة - ط ١ - دار الفضيلة - الرياض - ١٤١٧ هـ.
- د. سعيد على ثابت - الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم - الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرياض - ١٤١٧ هـ.
- د. سليمان صالح - أخلاقيات الإعلام - مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع - الكويت - ٢٠٠٢ م.

- د. سليمان صالح - مستقبل الصحافة في ضوء ثورة الاتصال - مكتبة دبي للتوزيع ومكتبة النيل - مسقط - ٢٠٠٢م.
- سيد قطب - في ظلال القرآن - المجلد الثالث - ط ١٤ - دار الشروق - القاهرة - ١٩٨٧م.
- صامويل هنتجتون - صدام الحضارات - (ترجمة طلعت الشايب) - سطور - القاهرة - ١٩٩٨م.
- طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي - (قرأه وشرحه محمود شاكر) - السفر الأول - ط ٢ - مطبعة مدني - القاهرة - ١٩٧٤م.
- د. عائشة عبد الرحمن - القرآن والتفسير العصري - سلسلة اقرأ - ط ٢ - ١٩٩٩م.
- عباس محمود العقاد - أثر العرب في الحضارة الأوروبية - ط ٤ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٥م.
- عبد التواب مصطفى - القدر المفترى عليه في الإعلام العربي - كتاب الجيب الإسلامي - دار ابن لقمان للنشر والتوزيع - القاهرة.
- د. عبد الحليم النجار - مذاهب التفسير الإسلامي للعالم المستشرق أجنس جولد تسهر - مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٩٥٥م.
- د. عبد الحميد يونس - فن الإذاعة، أثر الإذاعة في المجتمع - مركز التربية الأساس في العالم العربي بمرس الليان - دار المعارف - ١٩٥٨م.
- د. عبد الرحمن عميرة - رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠٠١م.
- د. عبد الرزاق أحمد السنهوري - أصول الحكم في الإسلام - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٨م.
- د. عبد الفتاح عبد النبي - المؤثرون، دراسة نموذج أئمة المساجد في بناء الاتصال - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٩٥م.
- د. عبد اللطيف أبو السعود - الانترنت - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٧م.
- د. عبد اللطيف حمزة - الإعلام في صدر الإسلام - ط ١ - دار الفكر العربي للطبع والنشر - القاهرة.

- د. عبد الله شحاته - أركان الإسلام - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٧م.
- د. عثمان أمين - في اللغة والفكر - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة - ١٩٦٧م.
- د. على عبد الواحد وافي - حقوق الإنسان في الإسلام - دار فهضة مصر للطبع والنشر - ١٩٧٩م.
- د. على عزت بيغوفيتش - الإسلام بين الشرق والغرب - (ترجمة محمد يوسف عدس) - مجلة النور الكويتية - ١٩٩٤م.
- على محمد على الشريف وأسامة إبراهيم حافظ - النصح المين في تصحيح مفاهيم المحتسين - ط ١ - مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة - ٢٠٠٢م.
- د. على محمد القاسمي - اتجاهات حديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى - جامعة الرياض - ١٩٧٩م.
- فاروق سيد حسين - الإنترنت الشبكة العالمية للمعلومات - مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٨م.
- فاروق محمد العادلي - المدخل إلى علم الاجتماع - دار الكتاب الجامعي - ١٩٨٩م.
- فرانسيس فوكوياما - نهاية التاريخ وخاتم البشر - (ترجمة حسين أحمد أمين) - ط ١ - مركز الأهرام للترجمة والنشر - مؤسسة الأهرام - القاهرة - ١٩٩٣م.
- د. فرنسوا زبال - تكوّن الكتاب العربي - ط ١ - معهد الإنماء العربي - بيروت - ١٩٧٦م.
- فريتس شتيات - الإسلام شريكا - (ترجمة د. عبد الغفار مكايوي) - عالم المعرفة - الكويت - أبريل ٢٠٠٤م.
- د. فوزى فهمي - عار العالم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠٠٣م.
- د. فوزى فهمي - الثقافة والتجدد - ط ٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٧م.
- كارل ر. بوبر - أسطورة الإطار - (ترجمة يعنى طريف الخولي) - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - أبريل ومايو ٢٠٠٣م.

- د. كمال أبو مجد - حوار لا مواجهة - مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠٠٢ م.
- ل. جون مارتن، أنجو جروفرو شودري - نظم الإعلام المقارنة - (ترجمة على درويش) - الطبعة العربية الأولى - الدار الدولية للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٠ م.
- مجدى محمد رياض - الفلسفة الخلقية عند الأشاعرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٣ م.
- محمد أحمد الشهاوي - نواميس الله في الكون - مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٧ م.
- محمد الغزالي - مع الله - دراسة في الدعوة والدعاة - ط ٤ - دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٩٧٦ م.
- محمد خليفة التونسي - الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون - ط ٤ - القاهرة - ١٩٦١ م (غير مبين الناشر).
- د. محمد رؤوف حامد - الوطنية في مواجهة العولمة - سلسلة اقرأ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٩٩ م.
- د. محمد سيد محمد - الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر - ط ١ - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٩٤ م.
- محمد عبد الله عنان - مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٧ م.
- محمد عبد الواحد حجازى - موقف الإسلام من الفنون - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٧ م.
- محمد عطيه الإبراشي - عظمة الإسلام - (الجزء الأول) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠٠٣ م.
- د. محمد فريد عزت - بحوث في الإعلام الإسلامي - دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة - جدة - ١٩٨٣ م.
- محمد فريد وجدى - من معالم الإسلام - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠٠٠ م.

- محمد فؤاد عبد الباقي - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - دار الحديث خلف الجامع الأزهر، ودار الريان للتراث - القاهرة - ١٩٨٧م.
 - محمود أمين العالم و عبد العظيم أنيس - الثقافة المصرية - دار الفكر الجديد - ١٩٥٥م.
 - د. محمود حمدي زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - ط ٢ - كتاب الأمة - قطر ١٤٠٤هـ.
 - د. محمود علم الدين - مصداقية الاتصال - دار الوزان للطباعة والنشر.
 - مراد ويلفريد هوفمان - يوميات ألماني مسلم - (ترجمة د. عباس رشدي العماري) - ط ١ - مركز الأهرام للترجمة والنشر - ١٩٩٣م.
 - ملفين ل. ديفليز و ساندرابول و روكيتش - نظريات وسائل الإعلام - (ترجمة كمال عبد الرؤوف) - الطبعة العربية الأولى - الدار الدولية للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٢م.
 - موريس بوكاي - القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٢م.
 - نانسي بكارد - إنهم يصنعون البشر - (ترجمة زينات صباغ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٧م.
 - هانسي، بيتر مارتين وهارالد شومان - فخ العولمة، الاعتداء علي الديمقراطية والرفاهية - (ترجمة د. عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم د. رمزي زكي) - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - العدد ٢٣٨ - أكتوبر ١٩٨٨م.
 - د. هدي وصفي - النقد الأدبي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٩م.
 - ياسين رشدي - من أخلاقيات الإسلام - ط ١ - مكتبة نهضة مصر - القاهرة - ١٩٩١م.
- ثالثاً: بحوث ومقالات:**
- أ- البحوث:
 - بحوث المؤتمر العلمي السنوي التاسع لكلية الإعلام جامعة القاهرة - ٤ أجزاء - مايو ٢٠٠٣م.

- بحوث المؤتمر العلمي السنوي الثامن لكلية الإعلام - جامعة القاهرة -
جريان - مايو ٢٠٠٢ م.
- بحوث ندوة الثقافة العربية بعنوان " الواقع وآفاق المستقبل " - ١٢-١٥
أبريل ١٩٩٣ م - كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية - جامعة قطر -
الدوحة.
- ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي - مسقط -
سلطنة عمان - في الفترة من ١-٣ شعبان ١٤٠٥ هـ الموافق ٢١-٢٣
أبريل ١٩٨٥ م - الناشر - مكتبة التربية العربي لدول الخليج - الرياض -
١٩٨٧ م.
- ب- المقالات:
- إبراهيم فتحي - ١١ سبتمبر وخطاب الاستشراق - جريدة الأهرام -
بتاريخ ٤-١٠-٢٠٠٣ م.
- إبراهيم نافع - جنون الخطر الأخضر - جريدة الأهرام بتاريخ ٣١-٨-
٢٠٠٤ م.
- أحمد أبو مطر - الشخصية القومية وهجوم الغزو الثقافي - الناقد -
العدد ١٧ بتاريخ نوفمبر ١٩٨٩ م.
- أحمد مجت - وثيقة دامغة - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٣-٧-١٩٩٣ م.
- أحمد مجت - استروجوف - جريدة الأهرام بتاريخ ٩-٤-١٩٨٢ م.
- أحمد عبد المعطي حجازي - الأسباب مفهومة - جريدة الأهرام بتاريخ ٨-
١٠-٢٠٠٣ م.
- أحمد عبد المعطي حجازي - الدعوة للجميع - جريدة الأهرام بتاريخ
٣٠-١-٢٠٠٢ م.
- أحمد عبد المعطي حجازي - الكتابة نزال دائم - جريدة الأهرام بتاريخ
٢٨-٧-١٩٩٣ م.
- أحمد محمد جمال - دفاع عن الشعر والشعراء - جريدة الشرق الأوسط
بتاريخ ١٤-٤-١٩٨٠ م.
- البابا شنودة الثالث - ما هو الخير؟ - جريدة الجمهورية

- تاريخ ٢٥-١١-٢٠٠٣م و ٢٤-١١-٢٠٠٣م.
- السيد يسين - التشخيص الأمريكي للحالة الإسلامية - جريدة الأهرام
تاريخ ٢٩-٧-٢٠٠٤م.
- السيد ياسين - الأعلام والتواصل العربي الأوروبي - جريدة الأهرام
تاريخ ٨-٤-٢٠٠٤م.
- السيد يسين - القيم الثقافية بين النظرية والتطبيق - جريدة الأهرام تاريخ
٤-١٢-٢٠٠٣م.
- السيد يسين - معاداة للسامية أم انتصار للحق؟ - جريدة الأهرام تاريخ
٦-١١-٢٠٠٣م.
- السيد ياسين - تشخيص الوضع العربي - جريدة الأهرام بتاريخ ١٤-
٨-٢٠٠٣م.
- السيد يسين - نحو نظرية لتخطيط السياسة الثقافية - جريدة الأهرام
تاريخ ٢٧-١١-١٩٨٧م.
- الشريعة الإسلامية والنظرة العالمية - افتتاح مجلة الدعوة (السعودية) العدد
٧٧٥ تاريخ ٨-١٢-١٩٨٠م
- أمين محمد أمين - الإعلام والتطوير - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧-٦-
٢٠٠٤م.
- د. أنور عبد الملك - كيف تكون معرفة الآخر؟ - جريدة الأهرام ١٦-
٩-٢٠٠٣م.
- أنيس منصور - مواقف - جريدة الأهرام بتاريخ ١٤-٣-٢٠٠٤م.
- د. برهان غليون - الثقافة العربية بين التبعية والتبادل - جريدة الخليج
تاريخ ٢٠-١٢-١٩٨٩م.
- د. بنت الشاطي - في كل واد يهيمنون - جريدة الأهرام - بتاريخ ١٢-
٨-١٩٧٩م.
- د. حسن رجب - تكنولوجيا الكذب في حرب الخليج - جريدة الأخبار
تاريخ ٣٠-٣-٢٠٠٣م
- حسين أحمد أمين - جنائيات وسائل الإعلام علي أهل هذا الزمان -

- جريدة الأهرام بتاريخ ١٧-١٠-٢٠٠٤م
- حسين أحمد أمين - تأملات في تطور كتابة سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الشرق والغرب - مجلة العربي - العدد ٢١٥ - أكتوبر ١٩٧٦م.
 - رجائي عطية- الدين والغير.. ماذا قال العهد القديم والتلمود - جريدة الأهرام بتاريخ ١٢-٣-٢٠٠٤م
 - زكي أحمد - مكونات القوة في فكر مالك بن نبي - مجلة العالم - العدد ٣٨٨
 - بتاريخ ٢٠-٧-١٩٩١م.
 - سامح كريم - تجديد الخطاب الديني وعمل المجتدين في الإسلام - جريدة الأهرام بتاريخ ٨-١٠-٢٠٠٣م.
 - سعد لبيب - الأمن الثقافي والعمل الإذاعي - الدراسات الإعلامية - العدد ٤٩ - أكتوبر ونوفمبر ١٩٨٧م.
 - د. سعيد اللاوندي - المشهد العراقي، في البدء كانت الكذبة - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤-٨-٢٠٠٤م.
 - د. سعيد اللاوندي - كتاب جديد، صناعة الرأي العام - جريدة الأهرام بتاريخ ١٣-٢-٢٠٠٤م.
 - د. سعيد عبده - بين شوقي وطه حسين - مجلة العربي - سبتمبر ١٩٧٨م.
 - سلامة أحمد سلامة - المنطقة تحت الوصاية - جريدة الأهرام بتاريخ ١٩-٢-٢٠٠٤م.
 - سلامة أحمد سلامة - إفراط في التفاؤل - جريدة الأهرام بتاريخ ٧-٢-٢٠٠٤م.
 - سلامة أحمد سلامة - صراع إسلاميات - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩-١١-٢٠٠٣م.
 - سلامة أحمد سلامة - العرب ضيف شرف - جريدة الأهرام بتاريخ ٩-٩-٢٠٠٣م.
 - د. سيد عويس - من صور الغزو الثقافي - جريدة الأهرام بتاريخ ١٦-

- ٢-١٩٨٥م.
- صلاح الدين حافظ - ما وراء جدران الكراهية - جريدة الأهرام بتاريخ ٨-١٠-٢٠٠٣م.
- صلاح منتصر - لغتنا المعتدي عليها - جريدة الأهرام بتاريخ ٣٠-٩-٢٠٠٣م.
- عادل صلاحى - أبو أيوب الأنصاري - جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٢١ رجب ١٤٢١هـ.
- عادل صلاحى - الإيمان والنفاق والمصلحة الشخصية - جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٤-١-١٩٨١م.
- د. عاصم الدسوقي - التداخل الحضاري بين العرب والعالم - جريدة الأهرام بتاريخ ٩-٦-١٩٨٩م.
- عاطف الغمري - كتاب جديد، القوة الإمبراطورية، ثمن الإمبراطورية الأمريكية لمؤلفه: نيل فيرجسون - جريدة الأهرام بتاريخ ١٨-٦-٢٠٠٤م.
- عبد الحليم محمد أحمد - خواطر حول أزمة العقل المسلم المعاصر - مجلة المسلم المعاصر - العدد الأول - نوفمبر ١٩٧٤م.
- عبد العال الحماصي - دور الترجمة - مجلة أكتوبر بتاريخ ٢١-٤-١٩٩١م.
- عبد العزيز حمودة - نظرية المؤامرة أمس واليوم - جريدة الأهرام بتاريخ ٢-٣-٢٠٠٤م.
- د. عبد العزيز حموده - حديث الإمبراطوريات - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠-٥-٢٠٠٣م.
- د. عبد العظيم أنيس - غين فتحة غا - جريدة الأهالي بتاريخ ٢٦-١٢-١٩٨٤م.
- د. عبد العليم محمد - القضية الفلسطينية والإعلام الغربي - جريدة

- الأهرام بتاريخ ١٩-٩-٢٠٠٣م.
- عبده مباشر - المسلمون وأوروبا وألف عام من الحروب - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧-٦-٢٠٠٤م.
- د. على جمعه - النموذج المعرفي الإسلامي وتجديد الخطاب الديني - جريدة الأهرام بتاريخ ١٠-٤-٢٠٠٤م.
- د. غالى شكري - رؤية نقدية - جريدة الأهرام بتاريخ ٦-٩-١٩٨٩م.
- فاروق جويده - المؤامرة الكبرى - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧-٢-٢٠٠٤م.
- فهمى هويدى - عن معركة الأمعاء الخاوية - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤-٨-٢٠٠٤م.
- فهمى هويدى - نقطة نظام - جريدة الأهرام بتاريخ ٣-٩-٢٠٠٣م.
- فهمى هويدى - صهينة الكلام - جريدة الأهرام بتاريخ ١٧-٦-٢٠٠٣م.
- كمال جاب الله - هدف المركز نشر الفهم الصحيح للإسلام لدى الشعب الياباني - جريدة الأهرام بتاريخ ٦-١١-٢٠٠٣م.
- د. ليلي تكللا - الأمدود سمان ومؤسسات حقوق الإنسان - جريدة الأهرام بتاريخ ٣٠-٩-٢٠٠٣م.
- محسن محمد - مؤامرة على تاريخ مصر الفرعوني - أخبار اليوم بتاريخ ٢٣-١-١٩٨٨م.
- د. محمد السعيد إدريس - الصهيونية المسيحية - جريدة الأهرام بتاريخ ٢١-٥-٢٠٠٤م.
- محمد سيد أحمد - هل صدام الحضارات نظرية صحيحة؟ - جريدة الأهرام بتاريخ ١٥-٤-٢٠٠٤م.
- محمد سيد أحمد - أين نقف مع بداية الألفية الثالثة؟ - مجلة العربي - العدد ٤٩٧ - الكويت - أبريل ٢٠٠٠م.
- محمد سيد أحمد - هل تكنولوجيا العصر ضد الديمقراطية؟ -

- جريدة الأهرام بتاريخ ٥-٣-١٩٩٢م.
- د. محمد عمارة - تجديد الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي - سلسلة مقالات بجريدة الأخبار بتاريخ ٢٤-١٠-٢٠٠٣م و ٣١-١٠-٢٠٠٣م و ٧-١١-٢٠٠٣م و ١٤-١١-٢٠٠٣م و ٢٨-١١-٢٠٠٣م.
- د. محمد عمارة - نظرات في الهجمة الأمريكية على الإسلام - جريدة الأخبار بتاريخ ١٢-٩-٢٠٠٣م ثم بتاريخ ١٩-٩-٢٠٠٣م.
- د. محمد عناني - عن ترجمة الأدب العربي - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤-١١-١٩٨٨م.
- محمود المراغي - الرأي العام - آخر من يعلم - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩-٦-٢٠٠٤م.
- د. محمود حمدي زقزوق - إعادة بناء الثقة بين العالم الإسلامي والغرب - جريدة الأهرام بتاريخ ٢١-٨-٢٠٠٤م.
- د. مصطفى سلامة - العولمة بين التهويل والتهوين - جريدة الأهرام بتاريخ ١٣-٨-١٩٩٩م.
- د. مصطفى عبد الغنى - الجامعة العربية والتنظيمات الشبكية - جريدة الأهرام بتاريخ ٩-٦-٢٠٠٣م.
- مصطفى محمود عبد الله - الإسلام والمسلمون في إيطاليا - جريدة الأهرام بتاريخ ١٩-٦-٢٠٠٤م.
- د. مصطفى محمود - عن الغزو الثقافي وكلام الوزير - جريدة الأهرام بتاريخ ٢-٧-١٩٩١م.
- مصطلحات فكرية - جريدة الأهرام بتاريخ ٧-٣-١٩٨٦م وتاريخ ٤-٩-١٩٨٦م وتاريخ ٣٠-١٠-١٩٨٧م و تاريخ ٨-

١٢-١٩٨٩م.

- مها عبد الفتاح - انفتاح جورباتشوف خطأ في الترجمة - جريدة الأخبار بتاريخ ٨-١١-١٩٨٧م.
- نادية خليفة - المراهقون قادمون - مجلة صباح الخير بتاريخ ٢٢-٧-٢٠٠٣م.
- يسرا الشرفاوي - الميديا الأمريكية بين تجربة الحرب ومحاولة الخروج من العزلة - جريدة الأهرام بتاريخ ١٨-١-٢٠٠٤م.
- د. يوسف القرضاوي - نحن والغزو الثقافي - جريدة الشعب القاهرية بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٧م.
- د. يوسف زيدان - درس تاريخي في الترجمة - جريدة الأهرام بتاريخ ٥-٣-١٩٩٢.
- د. يونان لبيب رزق - ملف الإرهاب - قراءة عربية - المتعصبون- مجلة المصور بتاريخ ١٥-٥-١٩٩٢م.
رابعا: كتب أجنبية:

- Melvin L- De Fleur, Sandra Ball, Rokeach- THEORIES of MASS COMMUNICATION – Third Edition – David Mckay Company, inc- New York, 1976.
- International Encyclopedia of the social sciences - volume 3 – The Macmillan company and the Free Press 1968.

كتب للمؤلف

- الغزو الثقافي واجتمع العربي المعاصر - الطبعة الأولى - دار الفكر العربي - ١٩٩٦.
- الإعلام والتنمية - الطبعة الرابعة - دار الفكر العربي - ١٩٨٨.
- صناعة الكتاب ونشره - الطبعة الثالثة - دار المعارف - ١٩٨٣.
- الإعلام واللغة - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٤.
- المؤسسة الصحفية - الطبعة الثانية - مكتبة الخانجي - ١٩٨٤.
- المسؤولية الإعلامية في الإسلام - الطبعة الأولى - مكتبة الخانجي بالقاهرة
- ودار الرفاعي بالرياض - ١٩٨٣ - الطبعة الثانية - الجزائر - المؤسسة
- الوطنية للنشر - ١٩٨٦.
- الزيات والرسالة - الطبعة الأولى - دار الرفاعي بالرياض - الطبعة
- الثانية - كتاب الجمهورية - القاهرة - ٢٠٠٨.
- هيكل والسياسة الأسبوعية - الطبعة الأولى - دار الرفاعي بالرياض -
- ١٩٨٢ - الطبعة الثانية - سلسلة تاريخ المصريين - الهيئة المصرية العامة
- للكتاب.
- الصحافة بين التاريخ والأدب - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٨٥.
- موعده في النجوم (ديوان شعر) - دار "تي" - ١٩٦٧.
- سجين الربذة (مسرحية شعرية) دار المأمون للطباعة والنشر - ١٩٧٩.
- ما ينفع الناس (ديوان شعر) - دار المأمون للطباعة والنشر - ١٩٨٣.
- الغناء أمام أبواب الجنة (ديوان شعر) دار الفكر العربي - ١٩٩٦.
- ليوناردو دافنشي - دار الثقافة العربية - الطبعة الثانية - ١٩٨٩.
- أغنية المسير (مسرحية) - دار الثقافة العربية - ١٩٨٩.